جامعة عبد المالك السعدي

منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة

صنوان وغير صنوان
وأشعار أخرى



عبد الله كنون الحسني

إعداد وتخريج

محمد عبد الحفيظ كنون الحسني

جامعة عبد المالك السعدي
منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة

صنوان وغير صنوان
وأشعار أخرى

عبد الله كنون الحسني

إعداد وتخريج

محمد عبد الحفيظ كنون الحسني

مراجعة المتن الشعري

عبد الصمد العشاب - عبد الإلاه كنون

أحمد الطريبق أحمد

1995



تقديم

سبق للأستاذ المرحوم السيد عبد الله كنون أن أصدر في حياته مجموعتين شعريتين اشتملتا على عدد من القصائد في مختلف المضامين. والمجموعتان المشار إليهما هما (لوحات شعرية). و(ايقاعات الهموم) أثبت فيهما ما ارتضاه للنشر وأغفل الكثير الآخر من شعره فلم يفكر في ترتيبه أو إعادة صياغته خلا بضعة قصائد تناولها بالتشذيب أو الزيادة أو التغيير وكأنه كان ينوي جمعها لتقديمها للنشر. ويتجلى هذا في المجموعة التي رتبها ووضع لها عنوان «صنوان وغير صنوان» وإنما تأخر إصدارها لأن موادها لم تكن جاهزة، بحكم خضوعها عند الشاعر لعملية الاختيار كما فعل في ديوانيه السابقين. وهناك مجموعة أخرى للأستاذ كنون ما بين قصيدة ومقطوعة وخاطرة تركها كلها في قصاصات بعضها اعتنى بتصحيحه وبعضها الآخر لا يزال في مسودته الأولى. وتتفاوت تواريخها بين زمن الشباب والكهولة والشيخوخة، وكأنها استعراض للمراحل الشعرية عنده وسيجد القارئ في مضامينها تلك المراحل متجلية في كل نص وارد في هذا الديوان، ولعل هذه المقطوعات والقصائد هي التي عناها الأستاذ كنون بقوله في المقدمة التي وضعها لديوانه «لوحات شعرية» «ولقد كنت أرجع بين الفينة والأخرى إلى هذه الحصيلة الشعرية القليلة التي بقيت بيدي من كل ما نظمت فأزنها بميزان النقد الذي أنصبه لغيري فلا أكاد أستقر فيها على رأي ثم أتناساها ولكني لا أجرؤ على إعدامها كما أعدمت غيرها، هل ذلك لاعتدادي بها أو لسبب آخر ؟ لا أدري».

هذه الفقرة من مقدمة الديوان كانت مبررا لنا للنظر فيما ترك الشاعر من أوراق واختيار ما اخترناه للنشر في هذا الديوان الجديد الذي يضم مختلف الأغراض التي تناولها الشاعر ومنها غرض المدح، وكان هذا في زمن شبيبته. وكان مدحه نابعا من روح الوفاء ومقابلة الجميل بمثله ولم يكن من قبيل التكسب أو التملق وما كان له أن يكون كذلك وهو القائل :

أما وشبابي في العلا قسما برا | لأني امرؤ أبى المهانة والضيرا
أحيد بنفسي أن تهان كرامتي | وأربأ أن أسعى لما يوجب العذرا
إذا قيل هيا للفضيلة لم يكن | ليسبقني من جدّ في نيلها السيرا(1)

كان الأستاذ كنون قبل جمع ديوانه ينشر قصائده في مختلف المجلات الأدبية والملحقات الأسبوْعية وقد اختار له الأستاذ المرحوم محمد بن العباس القباج نماذج جيدة نشرها مع ترجمته في كتابه «الأدب العربي في المغرب الأقصى» سنة 1929، فعاد إليها الأستاذ كنون وضمها إلى ديوانيه. كما ضم نصوصا شعرية أخرى سبق له نشرها في كتابه «القدوة السامية للناشئة الإسلامية» (2) ولكنه بالنسبة للنصوص التي نشرها القباج غفل عن إيراد بيتين والغالب أنه نسيهما يقول فيهما :

طلب اليأس منفذا للقلوب | فأتى من إعظامها للخطوب
إن من هذه القلوب ضعافا | عودها على احتمال الكروب(3)

فيما عدا ذلك فشعره المنشور في الصحف والمجلات هو مما ضمه في ديوانيه المشار إليهما وتبقى من دون نشر هذه المجموعة التي تحتفظ بها مكتبة عبد الله كنون في جملة وثائقه الخطية.

وقد طمحت همة الأستاذ السيد محمدكنون الحسني لنشرها فقام مشكورا - بعد استشارة مكتب الجمعية المشرفة على الخزانة - بنقلها من أصولها وترتيبها وتأطير كل مجموعة في عنوان يلائمها مع وضع هوامش وتعريفات وتعاليق اقتضاها هذا العمل إضافة إلى المقدمة الضافية التي هي في حد ذاتها دراسة مستوفية للموضوع وتحليلا عميقا لشاعرية الأستاذ كنون.

---

(1) - لوحات شعرية ص : 21
(2) - صدرت الطبعة الأولى بتطوان سنة 1945
(3) - الأدب العربي في المغرب الأقصى ج 2 ص : 41

ومن حسن حظنا في مدينة طنجة أن يكون على رأس إدارة مدرسة الملك فهد العليا للترجمة مدير جمع إلى كفاءته الادارية روحا وطنية تغار على آثار روادنا في العلم والأدب والثقافة. فتكفل بطبع هذا الديوان الذي سيتمم عند الباحثين والدارسين انطباعاتهم العامة حول شاعرية الأستاذ گنون رحمه الله فللأستاذ بوشعيب إدريسي بويحياوي جزيل الشكر ووافر الثناء.

عن جمعية مكتبة عبد الله گنون

عبد الصمد العشاب

محافظ المكتبة

مقدمة

شاعرية عبد الله كنون
ملامح أولية
- الثقافة والمحيط
- مفهومه للشعر

I - قراءة في شعره المطبوع :
سمات عامة
- لوحات شعرية
- إيقاعات الهموم
1 - بواعث هذا الإبداع وأسسه
2 - ينابيع هذا المتن وروافده
3 - البنية الإيقاعية [1]

II - الشعر المخطوط
- صنوان وغير صنوان
- أشعار أخرى

---

(1) - حاولت ملامسة مجموعة من الجوانب الفنية ضمن هذا التقديم، وحتى تكتمل الصورة بالنسبة للقارئ في هذا الإطار، أفردت للجانب الموسيقي مبحثا شديد الإيجاز، على أن النية تطمع إلى دراسة فنية أكثر شمولا ودقة.

شاعرية عبد الله گنون
ملامح أولية

«حين أتمدد في فراشي وأسمع هدير المحيط، أتخيل أنه يردد شعر الأستاذ گنون فيأخذني الزهو بكوني في كنف بجرين»
سان ليجي فنان فرنسي كان يجاور الشاعر في حي القصبة بطنجة.

إن تطور الحركة الثقافية والفكرية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن الماضي وأوائل هذا القرن خضع لمؤثرات الأحداث السياسية التي تعاقبت على العالم العربي بصفة عامة ومنطقة المغرب العربي بصفة خاصة. فتبعية الشرق للدولة العثمانية جعلت منه وحدة إقليمية تتلاقى فيها الحوادث وتتداخل الثقافات وتتأثر المذاهب بعضها ببعض، مما ساعد على ظهور حركة علمية نشيطة ساهم في توقدها محمد علي في مصر والبعثات العلمية الأجنبية التي أمّت تلك البلاد وأسست فيها مدارس عصرية متميزة، في حين ظل المغرب خارجا عن هذه الوحدة له كيانه الخاص ودولته المستقلة التي يحجبها حجاب كثيف عما يجري في الشرق، أما الغرب فبعد سقوط الجزائر في قبضته سنة 1830 وتونس سنة 1881 أخذ المغرب يقدم الحذر في علاقاته به ويبتعد عن طريق اللقاء معه ما أمكن، مما زاد من تفرد المغرب وعزلته عن الشرق والغرب سياسيا وثقافيا، الأمر الذي جعل الذهنية المغربية تصاب بنوع من العقم والجمود والتعلق بالبدع والخرافات، فقام ثلة من أبناء هذا الجيل المتنورين بالدعوة إلى الاصلاح والرجوع إلى الاسلام في مصادره الأولى : القرآن والحديث. والوقوف ضد الأشكال الخرافية المنحرفة، وبناء الشخصية المغربية على أسس عربية إسلامية صحيحة. أما الأعمال الأدبية فقد ظلت في مجملها : (مقتفية آثار القدماء في الرسالة والمقامة والخطبة وفي موضوعات الشعر التقليدية وإن لم تغفل تسجيل الأحداث الكبرى في

المغرب وخارج المغرب، ويمكن إلحاقها عموما بفلول المدرسة الأندلسية بعباراتها الفقهية المبتذلة وأساليبها المثقلة بالمحسنات البديعية والمقاصد البلاغية المسيطرة(1).

وليس معنى هذا أن المغرب لم يعرف أي نأمة دالة على أن البلاد تلتمس طريقها للنهوض، وأن نخبة من الشباب المتحمس تستعد لانبعاث وتيقظ فكري، فعلى الرغم من قلة إنتاج تلك الفترة وتشبع إبداعها بروح القديم وسمات التقليد، فهو لا يخلو من لمحات دالة على تطلع نحو المستقبل واستشراف على الفجر الزاحف، ولا أدل على ذلك من إبداع ثلة من الطامحين والمجددين الذين نادوا بالنهوض ودعوا للإتحاد من أجل الاقلاع كالشاعر محمد غريط(2) الذي يقول بعد سقوط مدينة تلمسان في يد القوات الفرنسية :

مـالي أرى جـفن المغـرب وسنانا ... من بعد ما أخذ الرومي تلمسان
كـأنهم مـادروا مـاذا يريد بهم ... عـدو دينهم لا نال إمكانا
ولا على فـعلهم في دفـتـر وقـفـوا ... بأهل الأندلس يا بئس مـا كـانا

والشاعر محمد السليماني(3) الذي يصيح بأعلى صوته :

حـمـاة الدين هبـوا من سبـات ... فـمـركـزنا يؤول إلى الخـراب
تركنا الدين خلفـا لا نبـالي ... ولم نتـرك لنا غـيـر انتـسـاب
يقـول الشـامـتـون هم أضـاعـوا ... كـتـابهم وياحـسن الكتـاب

وغيرهم من الشعراء المثقفين المتطلعين إلى النهضة الشاملة والمتسلحين بعقيدة الإيمان الراسخة والمتنورين بآداب ومحاسن الشريعة الاسلامية والمستأنسين بالعلوم الجديدة المدركة من مطالعة الجرائد والمجلات والكتب العصرية. فإذا كان الشعر قد

---

(1) - محمد خرماش : النقد الأدبي الحديث في المغرب ص : 9 . دار افريقيا والشرق 1988

(2) - ازداد بمدينة مكناس وأتم دراسته بجامع القرويين نبغ في الشعر وترك منه ديوانا توفي بفاس 1963

(3) - ازداد بفاس عام 1858 اهتم بالتاريخ ونبغ في الشعر، توفي سنة 1924

ظل في منتصف القرن الماضي يسير على منوال المتقدمين من فحول الشعراء، وظل مفهومه ينحصر في كونه نوعا من الثقافة المتممة لعلم الفقيه أو القاضي أو الكاتب (1) ؛ فإنه أضحى في الفترة الممتدة من بداية القرن العشرين إلى منتصف العشرينات مرتبطا أساسا (بالمنظومة الفكرية التي يحملها أصحاب الحركة السلفية، فالشاعر يعرض أفكارا ولا يقول شعرا، وقد تغلغل هذا الاتجاه في نفوس المغاربة قاطبة (2) حيث أصبح الشعر الرائق والقريض الخالد هو ما حوى دعوة إلى العلم واشارة إلى النصح ولمحة من المنظومة الفكرية التي يحملها السلفيون. يقول عبد الله القباج (3) :

وما الشعر إلا الدرّ إن كان عامرا ... بأسمى المعاني كامل الحسن أروعا
وأحسنه ما جاء دون تكلف ... وأطرب سمع المرء إن كان سامعا
وأفضل شعر قيل في الدهر ما غدا ... حميدا ومقبولا لديه ونافعا
وخالده ما كان في العلم والدعا ... إليه وفي الارشاد إن كان ناجعا
وفي النصح والتعليم والوصف والرثا ... لمن كان للعرفان ركنا جامعا

ابتداءا من العقد الثالث من هذا القرن عرف المغرب أحداثا عامة كانت لها انعكاساتها في مجال الثقافة والفكر ابتداءامن الحرب الريفية الشهيرة ومرورا بحركة ما العينين في الجنوب وحركة موحا وحمو في الأطلس المتوسط وانتهاء بصدور الظهير البربري وتكوين كتلة العمل الوطني مما أعطى للنهضة الحديثة نفسا جديدا وساعد على توضيح الرؤيا وارتباط الأدب بالسياسة حيث أضحى الوطنيون يعتمدون مجالات الابداع لبث أفكارهم وتقريبها من الناس وساهمت الحركة الأدبية في المشرق التي بدأت أصداؤها تصل إلى المغرب في تنوير الرأي وتأسيس الممارسة الشعرية في المغرب على أسس جديدة. يقول الدكتور أحمد الطريسي (إن المفهوم

---

(1) - انظر في هذا الصدد : - أحاديث عن الأدب المغربي الحديث لعبد الله كنون ص 9-29 معهد الدراسات العربية 1964
- الشعر المغربي مقاربة تاريخية : أديب السلاوي ص : 71-100. دار افريقيا والشرق 1986
(2) - الإبداع الشعري والتحولات الاجتماعية والفكرية بالمغرب : أحمد الطريسي ص : 29 منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط 4 - 1992
(3) - ازداد في العقد السابع من القرن الماضي، واشتهر بلقب الشاعر المطبوع، لم يصدر له أي ديوان. توفي بسلا عام 1945

الجديد عن الشعر أصبح الآن مرتبطا لدى المغاربة بفكر الحركة الوطنية ورصد التحول الاجتماعي، وهو بعد ذلك له علاقة بهذه الصيغة الشعرية الوافدة، تلك الصيغة التي ارتبطت بدورها مع شعراء الإحياء بالشعر الغربي في أزهى عصوره، فالشعر المغربي لم يعد يقلد أو يحتذي في غير روح، بل أصبح على شيء من المعاناة) (1).

في هذا المحيط الثقافي نشأ الشاعر عبد الله گنون وفي بيت علم وأدب ولد بفاس سنة 1908 وعندما فرضت الحماية الأجنبية على المغرب هاجر مع والده إلى طنجة، وبها تلقى دروسه العلمية عن والده وغيره من مشيخة العلم، وبدأ نبوغه المبكر في الكتابة ونظم القريض وهو دون العشرين من عمره. وكان يسير في هذا النظم على طريقة القدماء معنى ومبنى، فيطرق الأغراض المألوفة ويسير على نمط البناء المعتاد يقول : (... مشروع تأليف الكتب كان لدي وأنا ابن ست عشرة سنة، أما الشعر فكان قبل هذه السن. مثلا نظمت قصيدة أقول فيها عن ثورة عبد الكريم الخطابي :

لَدولة الريف فضل وعزة لا تُذل
وكره في الأعادي وثورة لا تزل
عبد الكريم أمير بشعبها مستقل

هذا قلته وأنا ابن اثني عشرة سنة، صغير، صغير جدا، لكن يمكن ذكر أن ما كتبته آنذاك كان على نمط الأغراض الشعرية العربية التقليدية من مدح ورثاء وغزل كتبت كثيرا وتبين لي أن هذا لا معنى له، فمزقت كل ما كتبت، انتبهت إلى جبران خليل جبران، بدأت أتأثر به) (2).

هكذا بدأ الشاعر نظمه للقريض مقتفيا أثر القدماء، محاكيا أساليب معاصريه أو مقلدا شيوخه الذين كانت معاني شعرهم تدور في إطار ذاتي خاص من غزل

---

(1) - الإبداع الشعري والتحولات الاجتماعية والفكرية بالمغرب ص : 46
(2) - مجلة الكرمل : لقاء مع الشاعر : العدد 11 سنة 1984 ص 132-151

ووصف لمناظر الطبيعة ومجالس اللهو وإن تعدته فإلى المساجلات والاخوانيات والمدائح والمولديات، وشعره هذا هو الذي مزقه بعد أن اطلع على نماذج من الشعر الحديث في العالم العربي، وتمعن فيما كتب عن القريض فآمن بأن الشعر (هو أن تتعاطف مع قضية إنسانية أو فكرة إصلاحية أو تجربة وجدانية، وتحسن التعبير عنها جميعا أو عن إحداها بكلام ذي إيقاع موسيقي متناغم الألفاظ متزن المقاطع) (1).

وأطلق صرخته النقدية التي دعا فيها للخروج على الأوزان التقليدية التي أثقلت كاهل الشاعر والأغراض التي ضاعت فيها ماهية الشعر :

فليس الكتابة صوغ الكلام ... بدون اختيار ولا مذهب
ولكنها ما يثير الشعور ... وينشر موءودة الحسب

نجوم على أفق المغرب ... تمثل ناشئة الأدب
ولكنها خابيات الضيا ... يطوف بها غيهب الحجب
تغنت بشعر صحيح القوافي ... وأوضاعه جمة العطب(2)

ومن خلال إبداع الشاعر تتضح شخصيته الشعرية، ومن أبيات قريضه نقرأ مذهبه الشعري وغايته المتوخاة من نظم الشعر، فالشعر عنده التزام أولا وجمال ونغم موسيقي وإيقاع متزن :

هل الشعر إلا حديث النفوس ... وسجع الحمام على القضب
وروح لإفهام مغزى الحياة ... على السُنِ الشعر النخب

وكم من شعوب به نهضت ... ونالت به منتهى الأرب
وكم من جبان تقوى به ... وتم له النصر بالغلب(3)

---

(1) - ديوان إيقاعات الهموم ص : 6 مطبعة سوريا بطنجة 1401
(2) - لوحات شعرية صفحة 14-15 تطوان 1966
(3) - السابق صفحة 14-15

فهو يريد بالشعر التعبير عما يجيش بخاطره، ويعتمل في طيات مجتمعه، ويساور ذاتية أمته، ويكتنف واقع العالم الغربي والإسلامي، ومادام نظم القريض يأتي في المرحلة الثانية من اهتمامات عبد الله كنون فإنه لم يخلف منه إلا ديوانين مطبوعين وثالث مخطوط مع بضع قصائد مبعثرة.

I- الشعر المطبوع : ويمثله ديواناه

1 - لوحات شعرية :

وهي أول مجموعة شعرية صدرت للشاعر(1) جمع فيها طائفة من أشعاره القديمة والحديثة(2) التي تتشابه وتتقارب في الفكرة والغرض والتي تعبر عما يجيش بخاطره ويعتمل في طيات وطنه وبلده الذي كان يعاني من وطأة المستعمر ويتطلع إلى شمس الحرية والاستقلال، أو تلك التي تنطوي على آلام وأحلام تساور ذاتية أمته وتكشف واقع العرب والإسلام مما جعلها «قطعة من نفسه وصورة من كفاحه مع الحياة. إنها تجارب معاشة وعواطف جياشة للشاعر»(3).

وقد ضم هذا الديوان خمسا وثلاثين قصيدة إلى جانب خمس مقطوعات شعرية قيلت في أغراض مختلفة ومناسبات متميزة كما يوضح ذلك الجدول الآتـي :

---

(1) - صدرت عن دار كريماس تطوان سنة 1966

(2) - أنشد الشاعر القريض في سن مبكرة وطرق مواضيع مختلفة، إلا أنه اختار لهذا الديوان النصوص التي تتقارب في الفكرة والغرض والتي استحسنها وفضلها

(3) - لوحات شعرية ص : 8

عنوان النص	مطلعه	الصفحة	عدد الأبيات	الروي	المناسبة أو الموضوع
آلامٌ وأحلام	ويلي وويل جماعة الأحرار	9	24	ر	الوطنية : دعوة إلى التضامن
لسان حال الدولة الاسلامية	دول الإفرنج تُعلي شأنها	11	60	ل	دعوة إلى التأمل في واقع العالم الاسلامي
هل أنا أديب	نجوم على أفقِ المغرب	14	21	ب	مفهوم الشعر ورسالة الشاعر
صورة	أدرتُ لآخذ صورتها	16	2	هـ	نسيب
عربيٌّ حُرٌّ	عربي سيم خسفا وهوانا	17	31	ن	سأل المندوب الإنجليزي أحد جرحى ثورة 1936 ما يؤذيك ؟ فأجاب الجريح أن أراك. ثم سأله : ما تريد ؟ فأجابه أن تخرجوا من فلسطين. فنظمت هذه القصيدة إعجابا بروح هذا العربي.
من هو الغريب	ليس الغريب الذي يبين عن سكناه	20	7	ن	في الوطنية
الحماسة العصرية	أما وشبابي في العلا قسما برًا	21	16	ر	مواقف في الأدب والحياة
هواجس الطبيعة	ما حلا في موقع النظر	23	19	ر	وصف بستان

أبو بكر بن عبد الوهاب	أبا بكر دعوتك لو تجيب	24	33	ب	في رثاء أبي بكر بن عبد الوهاب
المُتعة المنغَّصة	رُب روض جئناه حين أطلت	26	9	ن	وصف لحظة في الطبيعة مع إخوان جمعهم حب الوطن.
مَواجد	سلام عليكم لا سلام مُودِّع	27	11	ع	نسيب
القوة الذريَّة	القوة الذَّرية احتكمت	28	10	ر	لو سألوا هذه القوة هل تستعمل في السلم أم الحرب لفضلَت استعمالها في السِّلم.
رثاء بلفور	لك الخيرات يا ناعي الطغام	29	15	م	وعد بلفور هو مُخلف لا محالة باتحاد العرب ووقوفهم ضد كل معاد للعروبة والاسلام.
العزيمة والثبات	نجاح السعي في حسن الثبات	30	68	ت	المبادئ والقِيم التي تُكوِّن الأبطال وتخلق الشخصيات.
قيود الحياة	إنما الدنيا تقليد	35	4	د	التقاليد قيد يزعج الإنسان
سَلِّ عنك الهموم	سَلِّ عنك الهموم إنا	36	20	م	سعادة الإنسان ونشاطه في إيمانه بالله ورضاه بقضاءه وقدره.
أشواق	رعى الله عهدا بالحمى لم يُجدَّد	38	11	د	نسيب
المنطاد ر101	لئن لم يأل جهدهم الطغاة	40	20	ت	صنعت انجلترا المنطاد ر101 وسيَّرته في أول رحلة

					إلى الهند، فما إن لحق فوق فرنسا في 5 أكتوبر 1930 حتى سقط محترقا بمن فيه، فقال الشاعر هذه القصيدة.
طوبى لهم	طوبى لهم طوبى لهم	42	15	م	نظمها في رثاء والده
رثاء الأمير شكيب أرسلان	أدرك النقص ثأره في الكمال	43	46	ل	رثاء شكيب أرسلان
نشيد الكشاف	أنا كشاف شريف	46	18		في الوطنية
كان لي قلب	كان لي قلب ولكن	48	4	ب	في النسيب
إغراق الأسطول الفرنسي	لاقى الذي أنشئ من أجله	49	20	ل	بعد هزيمة فرنسا في الحرب العالمية 2 واحتلال أرضها من طرف الألمان حكم عليها هؤلاء، بإغراق أسطولها الحربي فنفذ الحكم وقال الشاعر هذه القصيدة.
وداع	أيها الظاغن الذي أخذ القلب	51	10	ب	نسيب
حوادث الدار البيضاء في 8 ابريل 1947	أرى هادي الطريق يجور عمدا	52	31	د	في الوطنية
يوسف وهبي في طنجة	إذا نطق الفن أصغى الجميع	54	10	ق	زيارة الفنان يوسف وهبي لطنجة

قلب	قلب براه الوجد	55	26	د	في الزهديات
في ذكرى عيد العرش 1947	لعرشك في الاسلام عيد مُخلد	57	47	د	في الوطنية
نشيد وطني	في سبيل النجاح	63	33	متغير	الجد والإخلاص في العمل
المكتبة	اخلع النعل واخفض الطرف وامثل	64	13	ل	قدسية الكتب وقدسية عالمها ومكانها
عيد العرش 1950	العرش حجتنا فمن ذا يجحد	66	47	د	في الوطنية
الشاعر	زعموه ذلك المضنى فما	72	12	م	مغزى الشعر ورسالة الشاعر
العرش وحوادث سنة 1951	العرش أرفع يا حمالة الحطب	73	50	ب	حوادث ألمت بالمغاربة تدعوهم إلى التآلف والعمل من أجل الحرية.
منثويات حكمية	اصبري أيتها النفس ولا	81	26	متغير	نصائح وحكم
ثورة الملك والشعب	الشعب إسوة عرشه المتعالي	85	32	ل	في الوطنية
دمعة على فقيد الوطنية الأستاذ عبد العزيز بن ادريس	ترقرق الدمع في عيني لمنعا كا	92	11	ك	الرثاء
حقول الذرة في الصيف	ذُرة لا درة تُنتخبُ	90	12	ب	وصف الطبيعة

هرب مصيري	وأقول في نفسي لماذا فر أصحاب الرقيم	94	شعر حر		ما طرأ على الزُمن وعلى عقول الناس من تغيير
مناجات	ذهبت في حبك كل مذهب	91	17	ب	الزهد
الإنحناءة	رمز الخضوع	96	شعر حر		رفض الركوع والخضوع والدعوة للنهوض والدفاع عن الوطن وكرامة المغاربة.

لقد ولج عبد الله كنون عالم الشعر في سن مبكرة وبدأ يمارس نظمه وهو متشبع بوطنية صادقة وعزيمة ثابتة على الإلتزام بقضايا العروبة والإسلام، لا يفصل الشعر عن اهتماماته الأخرى، ولا يجعله همه الأول بل يدع نفسه وهواها فإن هي مالت إلى الشعر جعله يتدفق على لسانه وسخره لخدمة قضية وطنه ودينه وبني جنسه، وإن شغلتها عنه اهتمامات أخرى خاض فيها دون أن يكره نفسه على قول الشعر، يقول : (كنت لا أتطلبه ولا أقوله إلا حين يهجم علي ويحاصرني فأجدني منقادا له منساقا في حبله) (1) لذا تأخر صدور ديوانه الأول إلى سنة 1966 وهذا الديوان هو الذي جمع فيه أشعاره الأولى وقصائده التي اهتمت بالقضية الوطنية وبالمسألة القومية بالإضافة إلى مقطوعات ذاتية وأبيات تأملية في الحياة والكون بصفة عامة. ومن خلال قراءة أولية للجدول السابق، وبعد تصفح الديوان وتتبع أبياته ونصوصه نسجل الملاحظات التالية :

1 - ضم الديوان خمسا وثلاثين قصيدة إلى جانب خمس مقطوعات شعرية وما مجمله 919 بيتا.

2 - تتوزع هذه النصوص والأبيات حسب أغراضها كالآتي :

الوطنية	:	عشرة نصوص	(318 بيتا)
آراء ومواقف	:	سبعة "	(95 ")
القومية العربية	:	ستة "	(156 ")
النسب	:	خمسة "	(38 ")
الرثاء	:	أربعة "	(105 أبيات)
الوصف	:	ثلاثة "	(40 بيتا)
حكم ونصائح	:	نصان	(94 ")
إسلاميات	:	ثلاثة "	(63 ")

(1) - إيقاعات الهموم : عبد الله كنون ص : 6 مطبعة سوريا طنجة 1401

ومن خلال هذا التوزيع يبدو الإلتزام واضحا في شعر المرحوم عبد الله كنون أو في ديوانه هذا على الخصوص، الإلتزام بالقضية الوطنية، الإلتزام بقضايا العرب والمسلمين، الإلتزام بالدفاع عن العقيدة والمبدأ، فقد ضم الديوان طائفة من أشعاره التي قالها قبل الستينات وهي المرحلة التي عانى فيها المغرب والمغاربة من قيود الاستعمار وعاش فيها أبناء هذا الوطن أحداثا جمّة ومواقف متعددة، فمن محاربة الظهير البربري(1) إلى ثورة الملك والشعب، ومن حرب الريف إلى بزوغ نور الحرية والاستقلال، وهي المرحلة التي خصص لها الشاعر عشر قصائد شعرية تعد من أطول نصوص الديوان حث في بعضها على النضال والعمل من أجل طرد المستعمر كقوله في قصيدة «آلام وأحلام»(2) التي افتتح بها الديوان :

ويلي وويل جماعة الأحرار	ماذا يلاقي الشعب من أضرار
ويلي وويل المخلصين جميعهم	يودون بالإخلاص للأشرار
يا قوم ما هذا التخادل بينكم	في حين أنتم بضعة الأنصار
يا للرجال ألا شعور باعث	بالفرد منكم لاجتناب العار
هاذي شبيبتكم تنادي جمعكم	هلا أجبتم صوتها الإنذاري
في أي يوم تكبحون جماحكم	وتجنبون النفس كل ضرار
وتوحدون كبيركم وصغيركم	وتسارعون لنيل كل فخار

كما تحدث في قصائد أخرى عن مواقف وأحداث صنعها رجال هذا الوطن وزعماؤه، كحديثه عن أحداث سابع أبريل 1947 بالبيضاء(3)

---

(1) - المرسوم الإستعماري الصادر سنة 1930، والذي يرمي إلى فصل البربر عن باقي المواطنين لغة وتشريعا، وقد لقي مقاومة شديدة من جميع المواطنين، تحدث عنه الشاعر وشجبه في قصيدة مطولة نشرها بديوانه الثاني : «إيقاعات الهموم» ص : 9

(2) - لوحات شعرية ص : 9

(3) - ملخص الحادثة أن بعض الأطفال كانوا يلعبون بحي ابن مسيك بالدار البيضاء، فإذا بثلاثة من المجندين السينغاليين يتجولون فطالبهم أحد الأطفال بهدية فرفضوا فرماهم أصدقاؤه بالحجارة، فذهب الجنود إلى حصن قريب من الحي وعادوا بعد قليل ومعهم فرقة مسلحة بالرشاشات يتقدمها ضباط فرنسيون، فأطلقوا العنان لرشاشاتهم على الأبرياء والاهالي والعزّل.

أمـا فـي حـادث البـيـضـاء وعظ لمن يرجـو من الأغـراب رفـدا
أمـا فـي حـادث البـيـضـاء زجـر لداعـيـة لهم مـا شـام رشـدا
ألـم يـبـلـغ صـداه كـل أرض فـمـن منـهـم تـعطف أو تـنـدى
ألم ننظر فظائعـه الجَـوَالي فـمـا صـدت عن الإجـرام صـدا

كما استغل الأعياد والمناسبات لبث روح الوطنية والحديث عن قضية المغاربة فما قصائده في أعياد العرش لسنوات 1947 (1) و 1950 (2) و 1951(3)، إلا تنديد بسياسة المستعمر ونداء لمواصلة النضال وتشبث واضح بالعرش ومبايعة متجددة لمحرر البلاد جلالة المغفور له محمد الخامس. نلمس هذا من خلال مطالع هذه النصوص وتؤكده مقاطعه وأبياته، فقد جاء في مطلع قصيدة عيد العرش لسنة 1950 :

العـرش حـجـتنا فـمن ذا يجـحـد حـقـا يناصـره الإمـام مـحـمـد

وجاء في مطلع قصيدته لسنة 1951 :

العـرش أرفـع يا حـمـالة الحطب من ينهنهـه التـهـديد بالعـصـب

3 – إذا عرجنا على قصائد الرثاء في ديوانه فسنجده لا يحيد عن هذا المنحى ولا يبتعد عن هذا المرمى، فلم يسخر شعره إلا لرثاء رجال العلم والوطنية ولم يسل قلمه إلا لتأبين المناضلين من أبناء وطنه والمنافحين عن قضايا الدين والعروبة، فقد نظم قصيدة غراء في رثاء الأمير شكيب أرسلان واستغل المناسبة للإشارة إلى واقع العالم العربي والإسلامي من خلال الإشادة بأعماله ونضالاته(4) :

---

(1) – لوحات شعرية ص : 57
(2) – السابق صفحة : 66
(3) – السابق صفحة : 73
(4) – السابق صفحة : 44

إيه يا من تحـــيف العُــربُ هذا   حـجـة العرب في ضروب المعـالي

من تـولى الدفـــاع عن كل قطر   عـربي – سـواه- باسـتـبـسـال
وأذاق المسْــتـعـــمـرين الدواهـي   من بـريـطـانـيـين أو من غـــال
ليت شعري من ليس في عنقه فـضـ   ـل لـه من أعـــارب أو مـــوال
فــسل الأندلســيين بأقــصـــ   ـى الشـرق الأندلسـيين الخـوالي
لـــمـــاذا داد عن أولائك أبدى   بتـرقي أولاء أي احـتـــفـــال
وسل المغـــرب الذي لا ينسـى   من شكيب ذاك الصـديق الموالي

وعلى نفس النهج والطريقة مضى في رثاء فقيد الوطنية المناضل عبد العزيز بن ادريس(1)، وحين قـضى العـالم المناضل أبو بكر بن عـبـد الوهاب الصـديق الوفي للشاعر الذي عرفه في فجر شبابه فكثر الإتصال بينهما ؛ سخر شعره للحديث عن أعماله والإشادة بأخلاقه ونضاله مازجا ذلك بأبيات تأملية في واقع الحياة ومآل الإنسان(2) :

أهـذا الموت غـايتنا جـمـيـعـا   وســائر غـــايتنا أمل كـــذوب
أهـذا المـوت لا شـيء ســـواه   هـو الرزق الذي ضـــمن الوهـوب
هـو الحق الذي لا شك فــيــه   هـو الحظ المتـــاح هـو النصـــيب
فــويـح الآمـلين وويـح نفـــسي   وويح النـاس كلهـم أصـــيــبـــوا
أصــيــبـــوا بالحـيـــاة وأي داء   حـــيـــاة المرء ليس له طبــيــب
تكاليف ينوء بهـــا تبـيــر   ويرزح تحـتـهـــا الرجل الصليب
وأحـــزان تـهـــد القلب هـدا   فـــلا ينفك من ضـــعـف يذوب
وآمـــــال بـرأي الـعـين منـا   يحطم كـــالزجـــاج ولا رقـــيب
فـبـينا المرء يخـبط خـبط عـشـوا   ويقـــتـــحـم المخـــاطر لا يهـــيب
إذا بالموت قـــصـــاب البـــرايا   يـوافـي وهـو جــــبـــــار غـلـوب

---

(1) - لوحات شعرية ص : 92
(2) - السابـق صفحة : 24

أما رثاءه لأبيه فهو رثاء لكل عالم عامل قضى حياته في خدمة العلم والعقيدة، يتضح هذا من مطلع القصيدة(1).

طوبى لهم طوبى لهم ما كان أصلح حالهم
قوم على أصل التجرد قد بنوا أحوالهم

4 - من خلال القصائد التي بثها آراءه ومواقفه أو التي ضمنها حكمه ونصائحه تتضح الشخصية العربية الرافضة للذل والخضوع والروح الإسلامية المجبولة بالعزة والأنفة والخصال الكريمة، هاته الروح تجلت بوضوح في قصيدتيه اللتين ناجى فيهما ربه وتحدث عن دينه وعقيدته(2) مما يؤكد قضية الإلتزام التي أشرنا إليها سابقا، فالرجل ملتزم بقضايا بلده ودينه وعالمه العربي، ناضل من أجلها بكتاباته ومواقفه وتحدث عنها في المجامع واللقاءات ولم يُرد لشعره أن يخرج عن هذا الإتجاه ولا أن يحيد عن هذا المرمى كيف لا وهو الذي يعتبر الشعر دعاء للمعالي وأسلوبا للتوعية والهداية(3) :

إنما الشعر منار وهدى ودعاء للمعالي إنما

5 - يتضح التزامه بقضايا العروبة والإسلام من خلال عدد القصائد التي خصصها لهذا الغرض - ستة نصوص - ومن خلال المواضيع التي تناولها في هذا الموضوع، فبعد حديثه عن واقع العالم العربي في قصيدته التي مطلعها(4) :

دول الإفرنج تُعلى شأنها وأنا في كل شيء دونها
وبنوها أحرزوا كيانها وبني القُفل نهبٌ دونها
يابني الاسلام ما هذا الجمود

(1) - السابق صفحة :42 ورثاؤه لأبيه في هذه القصيدة عن طريق الإشارة والتلميح فقط، أما القصيدة التي رثاه بها على الطريقة المعهودة فقد ضمنها ديوانه الثالث : صنوان وغير صنوان.

(2) - انظر النصين على الصفحتين 55 و 36 من الديوان السابق

(3) - السابق صفحة : 72

(4) - السابق صفحة 11

التفت إلى بني قومه حانقا لائما متفجعا على واقع العرب وما آلت إليه دولتهم بعد تدنيس أرض فلسطين بأقدام المحتلين البغاة وأصبحت الشعوب العربية تستصرخ ضمير الإنسانية مما استحال معه الركون إلى اللامبالاة، فالظرف يقتضي الإتحاد والوقوف في وجه كل ما يمس كرامة وحرية العرب والمسلمين. يقول عن وعد بلفور(1) :

هو الإيعاد يُحمد فيه خلف ... وإن سمّوه بالوعد التمام

ولكن سوف يُنقض منه عقد ... ويُنسى ذكره بين الأنام

ويدمغ حقنا بُطلَ الأعادي ... وكان البُطل داعية انهزام

نمزقه بأطراف العوالي ... إذا هجنا وبالجيش اللهام

ونُقبره ونُقبر من يراه ... سبيلا للتعدي والترامي

هكذا ندد الرجل بمظالم الأجنبي الغاشم وتطرق بنوع خاص إلى قضية فلسطين قضية العرب المركزية إسهاما منه في تصوير هذا الحدث الجلل الذي ألم بالعالم العربي والإسلامي وارتفاعا منه إلى مستوى المسؤولية التي يحملها في عنقه كعربي وكعالم مسلم يدعو للجهاد والإتحاد والصبر. يقول في قصيدة «عربي حر»(2) :

إيه أبناء فلسطين لقد ... خُضتم لُجّ المَنيات عيانا

واقتحمتم جاحم الموت فلم ... تأتلوا فيه ضرابا وطعانا

صُبُرا ليس يبالي واحدٌ ... بألوف من علوج تتدانا

عُزّلا إلا من العزم الذي ... رَدَّ نيران العِدَا تحكي الجنانا

فضربتم للورى أمثلة ... عزّ إدراك لها أو أن تُدانى

وغدَوْتم قُدوة حسنى لمن ... يبتغي في الشرق أن يبني كيانا

ورفعتم هامة العُرب التي ... أطرقت من ضربة الدهر زمانا

فثباتا في مجال الموت أو ... تأخذوا الحق وتستوفوا الضمانا

---

(1) - السابق صفحة 29

(2) - السابق صفحة 19

ثم تعرض في نصوص أخرى إلى أحداث عربية ومواقف عاشها العالم المعاصر تستدعي التأمل وأخذ العبر كما تستدعي التكافل والإعتصام وأخذ الحيطة والحذر(1).

6 - كأي إنسان آخر لا بد أن الرجل رقّت مشاعره ومال قلبه فغمره نور الحب وسقاه ماء الحياة وهو في طور الشباب الأول يُعانق جمال الحياة ويستشرف لذاتها، فصور في شعره ما ألم به فأضنى قلبه وشغله، وتغنى بما راقه من مظاهر الطبيعة والحياة. فقد علق قلبه وتاقت نفسه لمحبوبه فردد لسانه(2) :

كـــان لـي قـلـب ولـكـن ... صـــار مني لحـبـيـبي
ليـتـه يشـفـيـه مما ... يعـتـريه من وجـيب
ثـم يـرتـاش المُـعَـنَّـى ... بوِصـال عن قـريب
فـهـو والأمْـرُ عـجـيب ... مُـمْـرِضي وهو طبيبي

وراقت نفسه وطاب خاطره وهو ينظر إلى جمال الطبيعة وحُسن إبداع خالق هذا الكون فطفق يقول(3) :

مـا حـلا في مـوقع النظر ... مـثل بسـتـان على نهـر
مـا جـرى في أذن مـسـتـمع ... كـجـواب الطيـر للوتر
وغَـدير حـفّـه شـجـر ... يا سـقـاه الغـيث من شجـر
كلمـا مـر النسـيم به ... مـال في ميسٍ كـذي سكر

(1) - انظر الديوان السابق الصفحات : 20- 28- 40 - 46 - 49
(2) - السابق صفحة 48
(3) - السابق صفحة 23

7 - يضم هذا الديوان طائفة من أشعار الرجل التي تتقارب في موضوعها وتتشابه في فكرتها وغرضها، فإذا استثنينا غرضي الوصف والنسيب اللذين خصص لهما الشاعر تسعة نصوص قصيرة لا تتعدى أبياتها خمسة وتسعين بيتا (1)، والنص الذي تحدث فيه عن زيارة الفنان يوسف وهبي لطنجة(2) وهو أيضا نص قصير لا تتعدى أبياته عشرة؛ فإننا نقف في باقي قصائد الديوان ومقطوعاته على وحدة إيديولوجية تتمثل في الوطنية والقومية، والروح الإسلامية والعربية، فمن دعوة المغاربة إلى الإلتحام والتعاون من أجل الإستقلال والحرية، إلى التأمل في واقع العالم العربي والإسلامي والتنديد بأعمال الغرب تُجاه هذه الأمة التي أصبح الإتحاد والتعاون أمرا مفروضا عليها من أجل تخطي المرحلة وتجاوز هذا الظرف العصيب الذي تجتازه، مرورا بحكم ونصائح يستقيها من كتاب الله ومن تجارب الآباء والأجداد، وبوقفات تأملية في الحياة وبني الإنسان، الأمر الذي يوحي بل يؤكد بأن الشاعر اختار من قصائده القديمة ما يتوافق وطنيا وعربيا، فضمه في هذا الديوان ممزوجا ببعض المقطوعات التي قالها في مرحلة الشباب متشببا أو واصفا أو متأملا، وترك نصوصا أخرى سيجمعها فيما بعد في ديوانه الثاني.

2- إيقاعات الهموم :

لقد أصدر الشاعر هذا الديوان سنة 1401 (1981) وجعله مكملا لديوانه **الأول**، إذ نشر فيه أشعاره القديمة التي لم يشتمل عليها ديوانه الأول إضافة إلى قصائد جديدة نظمها في السنين الأخيرة، يقول: «لما نشرت ديواني الأول لوحات شعرية كنت أختبر سوق الأدب قبل كل شيء، ولذلك ضممت إليه أشعارا من شتى الأغراض ما بين قديمة وحديثة، وكانت النتيجة مشجعة. فرأيت أن أشفعه بهذه المجموعة التي غنيت فيها ما أحس به من هموم، وهي كذلك تحتوي على أشعار قديمة بالإضافة إلى الشعر الحديث الذي نظمته في السنين الأخيرة»(3) وقد ضم الديوان 23 قصيدة بالإضافة إلى 20 مقطوعة قيلت في أغراض مختلفة كما يوضح ذلك الجدول التالي :

---

(1) - ستة نصوص في النسيب وهي الواردة في الصفحات : 16- 27- 38 - 48 - 51 - 91
وثلاثة في الوصف وهي الواردة في الصفحات : 23- 26- 90
(2) - لوحات شعرية صفحة 54
(3) - إيقاعات الهموم صفحة : 5

عنوان النص	مطلعه	الصفحة	عدد الأبيات	الروي	المناسبة أو الموضوع
الظهير البربري	ضاعتْ جهود الفاتحينا	9	47	ن	مناهضة المرسوم الإستعماري الصادر سنة 1930
رثاء شوقي	أي مُصاب في أسرة الأدب	16	37	ب	الرثاء
أوهام أم حقائق	صحائف الغيوب	22	24	رجز	تأملات في الوجود
سانحة	قالت لي النفس	25	2	د	فتنة المرء سببٌ في رُشده
الحمار والشيطان	نهق الحمار لرُؤية الشيطان	26	2	ن	الشيطان والإنسان
عامل الزمن	إذا استعصى عليك الدهر أمر	27	2	ر	الزمن خير مُذلّل للأمور
يا ليتني أخطأتك	لست أنا صدمتك	28	10	ك	داست سيارة الشاعر كلبا فقال هذه القصيدة
يوما فقط	أعطني يوم انتصار	29	23	حر	نوهت إحدى وكالات الأنباء بموقف العرب بعد نكبة 5 يونيبه وبالروح السلمية التي ينطوي عليها فقال الشاعر هذه القصيدة.
في المقبرة الاسلامية بطنجة	وشيعت جنازة ميت	32	10	ر	توجد في طنجة مقبرة تجاور مقبرة كاثوليكية قديمة وأثناء تشييع الشاعر لجنازة تأمل هذا الجوار فأوحى إليه بهذه القصيدة.
للنبات ذوق	أرى الأزهار ترقص كالغواني	33	2	ن	وصف الطبيعة

النجاح	ليس لغير ناجح	34	4	ل	العمل أساس النجاح
الهباء المنثور	ولاح في بهاه	35	35		الوصف
بعد الأحبة ما الحياة	ساد السكون	37	18	م	رثاء
خصوم العربية	جهلوها فناصبوها العداء	39	26	أ	الدفاع عن اللغة العربية
ڤيلوبليس	قف على أطلالها واعتبر	44	29	ر	قصيدة يدعو فيها إلى أخذ العبر من الحضارات الغابرة المنتهية، قالها بعد زيارته لمدينة ڤيلوبليس الأثرية أيام الحماية.
زلة كاكارين	وقال رائد الفضاء من جهله	49	12	أ	في تفنيد رأي رائد الفضاء
من منكما الوحشي	مالك لا تقنع مثل الطير	51	4	-	جشع الإنسان وقناعة الطير
بين الجوع والشبع	يموت من يشبع من تخمة	52	2	ف	الإفراط في الأكل والتفريط فيه، كلاهما مضر بصحة الإنسان.
تدبير	وقائل فرطت قلت نعم	53	2	ر	قد يكون العجز من حسن التدبير
رثاء الأستاذ الطريس	لا يوفي تأبينه بعض دين	54	41	ن	رثاء
المرجو الوحيد	كل مرجو إلى ملل	60	11	ل	زهديات
لصوص الأدب	هناك في المغاور	62	30	حر	السرقات الأدبية
أدب الصحبة	اسمع بني كلام النصح واعتبر	65	24	ر	من وحي رسالة الصداقة لأبي حيان التوحيدي

مرآة الحكيم	في الناس من يملأ أعينهم	70	3	ف	العبرة ببواطن الأمور
عرب الأندلس	دخلتم ألوفا دون عشرينا	71	2	ن	ذخول الأندلس والخروج منها
مساواة	ولما كرم الله البرايا	72	2	ي	من حسن صنيع الله بعباده أن جعل بطونهم لا تفصح عما بها
النزول بتيرانا	جثم الليل في سواد الغروب	73	21	ب	شاهد الشاعر شريطا سينمائيا عن هجوم الأسطول الإيطالي على تيرانا عاصمة ألبانيا في سنة 1939 فقال هذه القصيدة.
مرتع الروح	ولما قضينا من منى كل واجب	77	13	م	في زيارة النبي «ص»
النور المحض	تطلع البدر من عليا مقتبس	80	3	ت	ارتجل الشاعر هذه القطعة بالمسجد النبوي سنة 1397 حين رأى البدر وقد أطل كاملا.
رثاء الزعيم علال الفاسي	الصبر إلا في مصابك يجمل	81	41	ل	رثاء
الحمى الوسيع	إلهي بيتك الحرم المنيع	89	5	ع	في البيت الحرام
طوباك	رأت الشقيقة هرة في مكة	90	4	ر	رأت شقيقة الشاعر هرة في الحرم فتمنت أن تكون مكانها، فقال هذه الأبيات.
وفاء المرأة	مررت على المقابر في طريقي	91	17	ق	مر الشاعر على مقبرة بالقصر الكبير صباح يوم جمعة فرآها آهلة بالنساء المترحمات على موتاهن

					فأعجب بوفائهن وقال هذه القصيدة.
رفـــــات	لما فقدتك يأبـــي	95	2	ت	في رثاء والده
العقل والعلم	منزلة العقل من العلم	96	2	م	منزلة العقل من العلم
محـــمـــد «ص»	أي قلب لا يعتريه وجيب	97	31	ب	في المديح النبوي
بين الجمال والجلال	لا معنًى من جمال في الجلال	103	12	ل	بين الجمال والجلال
محاسبـــة	سررت لذكرى عندهم ولو أنني	105	2	ل	بلغ الشاعر أنه ذكر عند ذي سلطان بتنويه كبير فسرَّ بذلك ثم راجع نفسه فقال هذين البيتين.
في سوق الحكمة	كلم ثلاث من ثقافة شعبنا	106	7	د	الأمثال الشعبية
جدل صوفـــي	تشابه الخوف والرجاء	107	8	أ	من وحي الصوفية
نشيد مدرسي	إيه يا نشئ البلاد	111	8	رجز	نـصـــائـــح
لعبة الخدروف	أيها الخدروف هيا	112	10	-	وصف لَعبة
قصة عصفور	لقد حكى عصفور	114	28	-	قصة للصغار

هكذا تؤكد أبيات هذا الديوان وقصائده أن الشاعر لم يخرج عن الخط الذي رسمه لنفسه ولم يحد عن موقفه المنبثق عن جوهر شخصيته ومذهبه في تعاطيه الشعر وغايته المتوخاة منه والتي أفصح عنها في ديوانه السابق وأشار إليها في أحاديثه وكتاباته، فالإلتزام بالقضية الوطنية والعربية، والدفاع عن الاسلام ولغته، وبث الحكم والنصائح، بالإضافة إلى وصف الطبيعة والكون أو رثاء رجال العلم والوطنية هي محاور هذه المجموعة الشعرية وأغراض نصوصها وهي نفس المحاور والأغراض التي ينطوي عليها ديوانه السابق مع اختلاف بسيط في المواضيع المتناولة وعدد النصوص والأبيات التي تدخل تحت هذا المحور أو ذاك. ويبدو هذا الاختلاف طبيعيا إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة المرحلة التاريخية التي قيلت فيها نصوص كل مجموعة ونوعية المواقف التي تقتضيها كل فترة دون أن ننسى أن أبياتا وقصائد أنشدها الشاعر في مرحلة مبكرة من حياته الإبداعية أرجأ نشرها إلى هاته المجموعة الشعرية.

لقد ولج الرجل عالم الشعر في سن مبكرة وأنشد القريض وهو لم يبارح بعد صفوف الدراسة أو حلقاتها، فنطق لسانه بإيقاع متناغم الألفاظ متزن المقاطع معبر عن مشاعر أحسها أو أحداث عاشها أو مبادئ آمن بها فدافع عنها، وحين عزم على نشر ديوانه الأول اختار نصوصه من إبداعه المتقارب في الفكرة والغرض وتنخل قصائده من أشعاره القديمة والحديثة التي اهتمت بقضايا العروبة والوطن أو التي انطوت على آماله وأحلامه ونظراته إلى الحياة والكون بصفة عامة، مقتصرا في ذلك على النصوص القريبة من نفسه المعبرة عن آماله وكفاحه في تلك المرحلة تاركا ما عداها إلى مجموعته الثانية. وبعد صدور ديوانه الأول «لوحات شعرية» وبعد استماعه إلى آراء النقاد والأدباء في شعره(1)، وبعد الصدى الطيب الذي تركته تلك المجموعة عكف الرجل على جمع ديوانه الثاني «إيقاعات الهموم» فضمنه النصوص القديمة التي ترك نشرها في الديوان السابق إما لضياعها في تلك الفترة كقصيدة في رثاء شوقي التي يقول بأنها (كانت من الشعر الذي أضعته، ولكني وجدتها عند أكثر من واحد من تلامذتي الذين تلقوها عني

---

(1) - إيقاعات الهموم صفحة : 118 وما بعدها

في وقتها)(1)، أو تلك التي أرجأ نشرها حتى يتفقدها ويعيد فيها نظره بالتحكيك وإسقاط رديِّها وإثبات جيدها بالإضافة إلى نصوص حديثة متعاطفة مع قضية إنسانية أو مُجليّة لفكرة إصلاحية أو معبرة عن تجربة وجدانية جادت بها قريحته في مرحلة متأخرة فجعلها ضمن هذه المجموعة الشعرية التي يقول عنها : (إن ما في هذه الأوراق من شعر إنما ينطق من ذات نفس قائلة، متفاعلا مع الأحداث التي عاشها والمشاعر التي أحسها فكان صدى لها ونغما حائرا يتردد في أعماقه ثم لا يلبث أن يتجسد على شفتيه ويخطه القلم على أقرب ورقة من يده، وليس المهم أن يكون فلقا معجبا أو وحيا معجزا، ولكن أن يشد انتباه القارىء ويملك إصغاء السامع ولو كانا من مستوى أرقى في ظنهما)(2).

ومن خلال تصفح أوراق هذا الديوان، وبعد إلقاء نظرة على أبياته ونصوصه يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

1- ضم الديوان ثلاثا وعشرين قصيدة بالإضافة إلى عشرين مقطوعة وما مجموعه 618 بيتا.

2 - تتوزع هذه النصوص حسب أغراضها على النحو التالي :

أ - حكم ونصائح : 13 نصا :

- 12 مقطوعة (40 بيتا)
- قصيدة واحدة (24 ")

(64 بيتا)

ب - تأملات ومواقف : عشرة نصوص :

- 8 قصائد (152 بيتا)
- مقطوعتان (4 أبيات)

(156 بيتا)

(1) - السابق صفحة 5

(2) - السابق صفحة 6

ج – إسـلامـيـات : ثمانية نصوص :

– 4 قـصـائـد (67 بيتا)
– 3 مقطوعات (17 ") 84 بيتا

د – الوطنية والقومية العربية : 4 نصوص :

– 4 قـصـائـد (125 بيتا)

هـ – الـرثـاء : 4 "

– 3 قـصـائـد (137 بيتا)
– مقطـوعـة (بـيتـان) 139 بيتا

و – الـوصـف : 4 "

– قصيدتـان (45 بيتا)
– مقطوعتـان (15 بـيتـا) 60 بيتا

3 – إذا كان الشاعر لم يخرج عن الخط الذي رسمه لنفسه في الديوان السابق ولم يحد عن موقفه ولا عن مذهبه في تعاطيه الشعر وغايته منه، وإذا كانت نصوص هذا الديوان لم تخالف أفق انتظار القارئ الذي اطلع على المجموعة الشعرية الأولى للشاعر وتتبع كتاباته في مجالات متعددة، فإن الإختلاف بين المجموعتين يبدو واضحا في عدد المقطوعات والقصائد المبثوثة في كل منهما. وفي عدد الأبيات المخصصة لكل غرض من الأغراض التي كانت قاسما مشتركا بين الديوانين. لقد ضم الديوان الأول خمسا وثلاثين قصيدة إلى جانب خمس مقطوعات في حين انطوت المجموعة الثانية على ثلاث وعشرين مقطوعة تمثل جلها لحظات شعرية عايشها الشاعر أو هموما أحسها فعكسها قلمه بشكل فني يبتغي من ورائه تلك المشاركة الوجدانية مع القارئ باعتبار هذه الهموم حلقة تجمع بينهما(1)، ولم يكن الشاعر متكلفا في نظم تلك النصوص بل يجد نفسه محاصرا ومنقادا إلى ذلك يسيل قلمه معبرا عن تلك النفس الجياشة عاكسا تعاطفه أو موقفه في لحظات شعرية عابرة، كما عبر هو نفسه عن ذلك حين قال : إنه لا يطلب الشعر بل يجد نفسه منقادا له منساقا في حبله.

---

(1) – لقد سمى الشاعر ديوانه هذا ابتداءا "مطارحات الهموم" وهو ما عثرنا عليه مكتوبا في إحدى وريقاته.

ولعل هذا ما يفسر كثرة المقطوعات في ديوانه هذا وتعدد النصوص القصيرة فجل شعره لحظات عابرة ومواقف شاعرية بعيدا عن مطولات وحوليات اختير موضوعها ورُتب بناؤها. ففي بعض تأملاته ومواقفه وفي حكمه ونصائحه ووصفه، لا نقف إلا على نصوص صغيرة قد لا تتجاوز البيتين في كثير من الأحوال مما يؤكد ما قلناه سابقا بأنها لحظات شعرية سجلها قلمه فضمها ديوانه هذا.

أما حين يقف على واقع العالم الاسلامي ويتحسر على ما لحق الإسلام والمسلمين، أو حين يندد بمظالم الأجنبي الغاشم ويستصرخ ضمير الإنسانية فإنه يُطيل ويُسهب وتتدفق الأبيات على لسانه في نسق متواصل فيتألم ويتحسر ثم ينصح ويذكر عسى أن يفيق القوم من غفلتهم، ويعرفوا سبب ما حل بهم، لذلك فهو لا يكاد يقترب من شاطئ الضرب أو العروض حتى تلج عليه أفكار أخرى في تلاحق متصل فيبدو وكأنه يريد أن يتنصل من المعنى السابق ليدخل في حرم معنى آخر يتحين فرصته لينتصب قائما في ذهن شاعريته فتتلاحق الأبيات وتتعدد، وتطول القصائد وتتضخم.

1 - بواعث هذا الإبداع وأسسه :

عند عودتنا إلى الديوانين معا، وإعمالنا النظر في المتن الشعري المطبوع للرجل بصفة عامة نجد أن الأسس التي انبنى عليها هذا المتن والعناصر المحركة لهذا الإبداع تتلخص في :

أ - **العقيدة الإسلامية** : لقد كان عبد الله گنون ذا إيمان قوي وعقيدة راسخة وغيرة قوية على دينه دفعته إلى الدعوة إلى تنقية العقيدة ومحاربة البدع والرد على المشركين والملحدين، يقول : (إنني رجل دين بحق، ولا أعني أنني رجل عبادة وصلاح كما قد يفهم البعض فحسب، بل إنى مصلح ديني، أنبه على بعض البدع التي ألصقت بالدين وليست منه، وأشير إلى بعض الشوائب التي علقت بالتعاليم الدينية من جراء التعصب أو سوء الفهم، وأنير الاهتمام بالتمسك بروح الدين... وأنا لست متطفلا على هذا العمل فهو ميراث آبائي وأجدادي وهو عندي عقيدة ومنهج وسلوك)(1) فهذه العقيدة وهذا المبدأ كانا إحدى الروافد الشعرية لإبداع

(1) - مجلة الفيصل العدد 137 يرليوز 1984 ص 43 - 44 لقاء مع الشاعر

لإبداع الرجل، إذ نقف في ديوانيه على نصوص ناطقة بعقيدة معربة عن سلوكه ومنهجه في الإصلاح. فنقف على الإيمان القوي والإستسلام لرب الوجود في قصيدته الميمية(1) :

سل عنك الهم إنا لا نبالي بالهموم
نحن قوم برضانا تنجلي كل الهموم
وبتسليم حكيم لقضاء رب حكيم
لا يشب الحزن منا حاجم الخطب الأليم
لا نسيء الأدب الو اجب للمولى العليم
عجبا للعبد يرضى حكم ظلام غشوم
ثم يملأ صدره السخـ ط من الله العظيم

وفي مناجات ربه والإعتراف بفضله وجوده يقول(2) :

كل مرجو إلى ملل غير من أرجوه يغفر لي
يده مبسوطة أبدا بأماني كل ذي أمل
وعطاياه لملتحد كعطاياه لمبتهل
لا يغيض البدل نائله فهو دهر الداهرين ملي

وفي دعوته للعودة للاسلام كعقيدة تطهر القلوب، ونظام يملأ الحياة سعادة يقول(3) :

أيها الحائر الذي ليس يدري في ظلام الهوى إلى من يُنيب
ضل قصد السبيل بين "يمين" و"يسار" كما تضل النِّيب
وتجافت به عن الدرب علما نية ما للعلم فيها نصيب
ها هنا الطهر والرضى والطمـ انينة فانضح بمائها ما يريب

---

(1) - لوحات شعرية صفحة 36
(2) - إيقاعات الهموم صفحة 60
(3) - " " " 100

ب - الـــوطنيـــة :

لقد ناضل الشاعر بكل ما أوتي من حول من أجل تحرير بلده، وعمل مع ثُلة من جيله من أجل طرد المستعمر الغاشم وعودة الحرية ونصرة الحق، فسخر سواد قلمه لتحقيق سيادة مطلقة لوطنه، وخصص سواد قريضه لاستنهاض الهمم وحثّ الرجال على العمل من أجل تخليص البلاد من نفوذ الأجنبي الجاثم على صدره المستغل لثروته، وعبر عن مذهبه ووطنيته في قوله(1) :

مــغـربي ليس تخـفى سـمــتي ... أتفــانى في اقــتـحــام الخطر
عـــــربي الدم والـنفس الـتي ... نزعتْ بي لتـــحـــدي العـصـــر
بـين جنبـي فـــــؤاد خــــافق ... مـــلـؤُه حـبٌ وعـطــف وحـنــان
وطني فـــاقْــبله إني ســـائق ... لك في طيـاتـه عــهــد الأمـــان

ثم التفت إلى أهله وأبناء وطنه حاثا على الاتحاد والعمل، لائما على الخمول والكسل، مؤكدا أن حال الأمة مرآة لهمة رجالها، فإن هم اتحدوا وهجروا الركون إلى اللامبالاة فإن أقدام المحتلين البغاة ستهجر أرضهم، وإن هم رضوا بالحال فإن تخليص الوطن المكلوم ومعانقة الحرية يبدو أمرا بعيدا ومنالا عسيرا.

بني قـومـي أفـيـقـوا من سـبـاة ... فـــإن الحــادثـات تجـد جـــدا
وهذا خـــصـــمكم يرمي لأمـــر ... فـــلا يأخـــذكم فـــردا فـــفـــردا
عليكم باتحـــاد في كـــفـــاح ... لمن لكـم بقــــوّته تحـــدى
وإن الله ناصـــــركم عليــــه ... فـــشـــدوا يا بني الأحـرار شـــدا(2)

ولعل ديوانه الأول «لوحات شعرية» خير دليل على هذا، فقصائده ناطقة بوطنيتـه، وقـوافيـه مـعـبـرة عن تعلقـه باسـتـقـلال بلده وعـودة ملكه :

العـرش حُـجـتنا فـمن ذا يجـحـدُ ... حــقــا يُناصـره الأمــام مـحـمـد(3)

---

(1) - لوحات شعرية صفحة : 46
(2) - لوحات شعرية صفحة : 53
(3) - السـابق صفحة 60

ج - القومية العربية :

العنصر الثالث من العناصر المحركة لإبداع الرجل إسلامه وعروبيته، وغيرته الشديدة على أبناء قومه وإخوته في العروبة والدين، لقد رفض الخضوع للشرق وللغرب وآمن بالحرية وقدرة العربي المتسلح بإيمانه على التحدي(1) :

رمز الخضوع
شعار من
إلى الخنوع
قد اطمأن
العربي
حر أبي
لا يعرف الهَوْنَ ولا يبدي الوهن
لأجنبي
ولا لمن
عزٌ وسادَ أو حَكم

كما آمن بالمصير المشترك للأمة العربية والإسلامية فدعا للإتحاد ونبذ الإتكال :

يا لقومي فاعرفوا غابركم وارفعوا بين الورى حاضركم
إن يكن ربٌّ العلا ناصركم كيف لم ترموا به قاهركم

يا بني الاسلام ما هذا الجمود(2)

(1) - السابق : قصيدة انحناءة صفحة : 96
(2) - لوحات شعرية صفحة : 13

وبشكل خاص يتطرق الشاعر لقضية فلسطين قضية العرب الأولى، فيعبر عن رأي العرب الأباة المتشبثين بأرضهم، الرافضين لكل شكل من أشكال التعامل مع المستعمر الغاشم ؛ على لسان العربي الحر المكلوم في ثورة 1936 الذي صاح في وجه المندوب الإنجليزي في فلسطين وقد سأله ما يوذيك ؟ فأجاب : أن أراك، فكظمها المندوب في نفسه وقال : هل تريد شيئا ؟ فقال العربي : أن تخرجوا من فلسطين !

عـربيٌّ سِـيمَ خَـسـفـاً وهوانا   أترجى منه سلمـا وأمـانا ؟
هـو نِضـوُ البـؤس إلا أنه   ناقم يُسعِّرُها حـربا عـوانا (1)

كما رفض الاستسلام والخضوع وصاح في وجه الصحفي الذي نوّه بموقف العرب بعد نكبة 5 يونيو فقال :

أعطني يوم انتـصـار
أعطني يومـا فـقط
أرفع الراية فـيـه
فـوق بنيـان الكنيـسـة (2)

د - الذاتية والإنسانية :

كأي إنسان آخر رقت مشاعر الشاعر ومال قلبه فغمره الحب، نظرت عيناه إلى جمال الخلق فأسر قلبه، وتملى حسن القِوام وجمال الهندام فتُيم لبُّه وضاع منه فؤاده

كـان لي قلبٌ ولكن   صـار منّي لحـبـيـبي
ليـتـه يشـفـيـه مما   يعـتـريه من وجـيـب
ثـم يـرتـاش المُـعـنّـى   بوصـال عن قـريـب
فـهـو والأمـر عـجـيبٌ   ممرضِي وهو طبـيـبي (3)

---

(1) - السابق صفحة : 17
(2) - إيقاعات الهموم صفحة 29
(3) - لوحات شعرية صفحة 48

وجل شعر هذا الباب هو من إبداع الشباب وأيام الطلب، ولعل النسيب من أوائل الأغراض التي نظم فيها الشاعر، وطرقه هذا الباب ليس مما يُعاب على العلماء والفقهاء(1) كما قال رحمه الله : (هناك نوعان من الشعراء : شاعر يجعل من الشعر مهنته. هذا تغلب عليه صفة الشاعر، وآخر يُضيف إلى الشعر اهتمامه بالعلوم. والنوع الثاني هو الذي كان سائدا في العصور الأخيرة في المغرب. فالشاعر فقيه أيضا، فمثلا البلغيتي كان عالما، قاضيا، وشيخا للطريقة التيجانية وله شعر تزداد به قيمته. كان غرنيط كاتبا مجودا، يكتب بالسجع، وله شعر، وهو نفسه يلقبونه بالفقيه. وأبوه فضول غرنيط، شاعر، وكان هو الصدر الأعظم، يحث على الخمر في شعره، ولا عيب في هذا. هناك عباس التازي، المفتي الكبير في فاس آنذاك، حضر في حفل كانت له مغنية تسمى «حديقة» أعجب بها فقال :

حديقة دعت الصب المشوق إلى | خلع العذار جهارا بين جلاس
أطعتُ فيها الهوى وما عصيت لها | أمرا وإن كنت أدري فيه إفلاسي

وكان الناس يأخذون مثل هذا الشعر على أنه مستملحات فقط، لأن سيرة هؤلاء معروفة بالإستقامة، ولذلك لا أحد ينقص من منزلتهم الاجتماعية (2) وكهؤلاء الفقهاء نظم شاعرنا شعرا رقيقا يحكي فيه ما رآه ويشكي هواه، منه ما نشره في ديوانيه، ومنه ما تركه مخطوطا ضمّناه هذا الديوان.

وتبرز إنسانية الشاعر أيضا من خلال معاناته الشخصية ومكابداته الذاتية التي جعلت تعتلج وتفيض على ما حولها فتبدو في شعره على شكل عواطف ومواقف إنسانية :

مررت على المقابر في طريقي | فكدت أغص من حزن بريقي
وكففت السوابق من دموعي | وقد طافت بإنساني ومُوقي (3)

(1) -لقد خلف الشاعر قصائد ومقطوعات غزلية كثيرة انتقينا بعضها ضمن هذا الديوان
(2) - مجلة الكرمل العدد 11- 1984 صفحة 137
(3) - إيقاعات الهموم صفحة 91

وقال وقد داست سيارته كلبا (1) :

لست أنا صدمتك ولا بسوء رمقتك
عرضت لي فلما رغت وقد أفلتك
عارضت من جديد مسيرتي فدستك
ومن أساي أني وددت لو دفنتك

هـ - الوصف والحكمة :

من الأغراض القديمة للشعر العربي، والأبواب المطروقة في قديم الشعر وحديثه، والوصف بحكم طبيعته الفنية وثيق الصلة بجميع الأغراض الشعرية، حاضر بشكل أو بآخر في جل الدواوين الشعرية، والوصف عند عبد الله كنون سبيل لاستجلاء جمال الطبيعة، والإستغراق في الذات عن طريق مناجاتها :

ما حلا في موقع النظر مثل بستان على نهر
ما جرى في أذن مُستمع كجواب الطير للوتر
آه من ذاك السكون ومن خطوات الطل في حذر
أنا لولا منظرٌ أنقٌ ألتجي منه إلى وزر
نابذا همَّ الحياة ورا مستريحا من عناء الفكر (2)

أما الحكمة فقد استقاها من الكتاب والسنة وتجارب الآباء والأجداد، ووظفها في شعره ليستنهض الهمم وينير الطريق :

---

(1) - السابق صفحة 28
(2) - لوحات شعرية صفحة 23

هي الحياة الدنا | كما رأيت رؤيا
لا تجتلي معناها | وأنت بعدُ تحيا
هل تعبَر الأحلام | وأهلها نيام
أو تقطع المواخي | وحدٌ كهام(1)

2 - ينابيع هذا المتن وروافده :

اتسعت اهتمامات الشاعر وبلغت حدا كبيرا في مزاولة الإطلاع والتعرف على الثقافة الإنسانية بمدلولها الشامل، وتشعباتها في ميادين التاريخ والفلسفة والأدب، بالإضافة إلى الثقافة الإسلامية التي ترتكز بالأساس على القرآن والحديث وأقوال السلف واجتهاداتهم، ولعل كتاباته في هذا المجال أو ذاك خير دليل على هذا، وإذا كان النص الشعري شبكة تلتقي فيها جملة من النصوص الإبداعية الأخرى، وتنعكس فيها مجموعة المعارف والأفكار فإن قراءتنا لشعر عبد الله گنون تحيلنا على مجموعة من المصادر الثقافية التي دخلت ذاكرته وعملت في تركيب متنه الشعري وأهمها :

أ - الثقافة العربية :

تظل الثقافة العربية بمختلف اهتماماتها حاضرة في المتن الشعري لعبد الله گنون ممثِّلة أهم مصدر ثقافي لهذا الإبداع، فالقرآن ظل دائما نصا مقدسا عنده يتعلم منه ويحلم به، فهو منتهى البلاغة ومستقبل الكتابة، تسيطر عليه معانيه، وتطلع تعاليمه في كل دفقة شعرية، والحديث النبوي وسيرة الرسول والصحابة مصادر أخرى استقى منها الحِكم والعِبر ووظف صورا منها في شعره، فقد استحضر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم(2) :

(1) - إيقاعات الهموم صفحة 22
(2) - لوحات شعرية صفحة 32

تفكر في النبيِّ وقد غشته ... جموع الشرك من كل الجهات
وجاءت عمّه مشتكيات ... وفي نياته متشككات
وقالت كفُّه عنا وإلا ... سطا بكما معًا أهل التِّرات
فقام الشيخ مكتئبا إليه ... وقال لقد فزعت من الشكاة
فأبق عليٍّ يا ولدي فإني ... ضعيف الحول ما بين العتاة

واستحضر حياة الصحابة(1) :

أرأيت إلى أبي حسن عليٍّ ... يدين بدين خير الكائنات
وما زالت سنُوه دون عشرٍ ... وما في قومه غير الطغات
دعاه المصطفى فأجاب فورا ... وقام بجنبه عند الصلاة

وبين ثنايا شعره نلمح أحيانا إشارات إلى أحاديث نبوية، واستلهاما لمعاني أفعاله ومرامي بعض تصرفاته صلى الله عليه وسلم، ففي قصيدة «خصوم العربية» وأثناء حديثه عن ماضي العرب وتاريخهم المجيد أشار عن طريق التلميح إلى فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله حين نزلت الآية الكريمة (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم... وآخرين لما يلحقوا بهم**) إذ وضع يده الكريمة على سلمان وقال هذا منهم، إشارة منه إلى أنه من تكلم العربية واعتنق الإسلام فهو من العرب. جاءت الإشارة إلى هذا في قول الشاعر(2) :

عربيا كان هؤلاء وناهيك بهم إريحية وإباء
هم "كسلمان" من أعاريب جاء الوحيُ نصا عليهم وثناء

وغير هذا كثير في شعره، كقوله مشيرا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم في عمار بن ياسر (ويح عمار تقتله الفئة الباغية) :

---

(1) - لوحات شعرية صفحة 31
(2) - إيقاعات الهموم صفحة 41

أبديت عـاطفـتي وكنت أكـتـمـهـا وقلت يا ويح عـمـار وإياكـا (1)

وبالإضافة إلى أحاديث الرسول وأفعاله، وسيرة الصحابة وأخبارهم تقف في شعره على إشارات إلى التراث العربي بصفة عامة والصوفي منه بشكل خاص، كما هو الأمر في قصيدة «جدل صوفي»(2) و «سلٌ عنك الهم»(3).

ب - التاريخ الإنساني :

نفذ التاريخ العربي بصفة خاصة والإنساني بصفة عامة إلى المتن الشعري لعبد الله كنون كأحداث وشخصيات ومواقف، واستلهام هذا الجانب في شعر الرجل جاء لأخذ العبر والدروس من ناحية، ولبلورة صراع الإنسان العربي بالمغرب أو غيره من أقطار العالم الإسلامي ضد الاضطهاد والاستعمار، يقول(4) :

قف على أطلالهـا واعـتـبـر كـيف دالت دولة المسـتـعـمـر
وسل الآثار عـمـا أثرت تنبـئك الآثار من مـسـتـأثر

اية رومـا والليـالي غُـدُرٌ هل بصـرت الحق أم لم تبـصـر
هذه القـوس لنصـر رُفـعت ولذكـرى قنصل أو قـيـصـر

ج - الشعر العربي القديم :

إن أسبق متن شعري مارس قراءته الشاعر هو متن الشعر العربي القديم وخاصة الجاهلي والعباسي والأندلسي إذ انكب منذ صباه على دواوين القدماء يتملى نصوصها ويحفظ بعض أشعارها ليأخذ نصيبا من لغتها ويتعلم شيئا من بيانها ويمتلك قسطا من فنيتها، حتى أضحى على معرفة واسعة بتراثنا الشعري مكنته

---

(1) - لوحات شعرية صفحة : 92
(2) - إيقاعات الهموم صفحة 107
(3) - لوحات شعرية صفحة : 36 . في النصف الثاني من القصيدة حيث جاء وصف الخمرة على طريقة الصوفية
(4) - إيقاعات الهموم صفحة 44

من وصفه ونقده والتعليق على الحديث منه. وهذه المعرفة بالشعر العربي القديم انعكست في إبداعه، إذ نقف على إشارات إلى معاني وردت في الشعر العربي القديم، أو على بناء فنّي يحدو حدو بناء قديم أو يحاكيه، فحين يقول مثلا(1) :

ولما قضينا من منًى كل واجبٍ ومن مكة فرضا ونفلا على الرسم
قصدنا إلى مثوى الرّسالة والهدى ومطلع أنوار الديانة والعلم

فهو يحاكي قول الشاعر عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى(2)

ولما قضينا من منًى كل حاجة ومسَّحَ بالأركان مَن هو ماسِحُ

وهي الأبيات التي طرحت نقاشا بين النقاد باعتبارها لا تنطوي على فائدة في المعنى.

أما حين يقول(3) :

ثباتي وحزمي واعتصامي بمبدإي ثلاثتها تكفي لأن أقهر الدهرا

فهو يحدو حدو طرفة حين يقول(4) :

فلولا ثلاثٌ هن من عيشة الفتى وجدِّك لم أحفل متى قام عُوَّدي

ومن هذا الباب أيضا قوله(5) :

---

(1) – السابق صفحة : 77
(2) – الشعر والشعراء لابن قتيبة الجزء الأول صفحة 72 تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الثالثة 1977
(3) – لوحات شعرية صفحة 21
(4) – شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي صفحة 133
(5) – لوحات شعرية صفحة 24

فبينا المرء يخبط خبط عشوا — ويقتحم المخاطر لا يهيب
إذا بالموت قصاب البرايا — ويوافي وهو جبار غلوب

فإن فيه نفحة من قول زُهير(1) :

أرى الموت خبط عشواء من تصب — تُمته ومن تُخطئ يعمر فيهرم

د - الشعر العربي الحديث :

إلى جانب اهتمام الشاعر بالمتن الشعري العربي القديم، كان على اطلاع واتصال دائم بالإنتاج الشعري الحديث، وخاصة من خلال رواده : شوقي وحافظ ابراهيم ومن بعدهم، بدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، وربما كان (عبد الله كنون هو أول شاعر، من شعراء الكلاسيكية الجديدة بالمغرب، أطلق صرخة نقدية في العشرينات، يدعو فيها الشعراء، للخروج على الأوزان التقليدية التي أثقلت كاهل الشاعر، وقد أفرغ صرخته ضمن قصيدته التي ينتقد فيها وضعية الشعر المغربي في تلك المرحلة)(2)، يقول(3) :

نجم على أفق المغرب — تمثل ناشئة **الأدب**
ولكنها خابيات الضيا — يطوف بها غيهب الحجُب
تغنت بشعر صحيح القوافي — وأوضاعه جمة العطب

ألا ليت شعري متى ارتقي — عن الشاعر المادح المعتبِ

وقد ظهرت صرخته الحداثية هاته في معاني كثير من شعره، وتجلت بوضوح في خروجه على الأوزان التقليدية في قصائد كثيرة(4).

---

(1) - شرح القصائد العشر صفحة 163
(2) - ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب محمد بنيس صفحة 286 دار العودة بيروت الطبعة الأولى 1979
(3) - لوحات شعرية صفحة 14
(4) - انظر القصائد على الصفحات : 96.94 من لوحات شعرية، و 62.29 من إيقاعات الهموم

3 - الجانب الإيقاعي للمتن الشعري :

يطبع المتن الشعري لعبد الله كنون ظاهرة تكرار وحدة إيقاعية تندمج مع غيرها لتشكل بحرا من البحور الشعرية المعروفة عند العرب، مستعملا البناء العمودي المقفى في جل نصوصه، محطما قانون التساوي بين الشطرين في بعض إبداعه. إذ نقف في شعره على ثلاثة أشكال إيقاعية :

أ - القصيدة : ونقصد بها الشعر العمودي المقفى الذي ينحو منحى القصيدة القديمة، وهذا النمط هو الذي يطبع جل أشعاره.

ب - الموشحات و أشكال أخرى : وهي تلوينات إيقاعية تجمع بين النشيد والرباعية والموشح منها ما يدخل فيما يسمى بعروض البلد كما في قصيدة لعبة الخدروف :

أيهــــا الخــــدروف هيـــا	أكــمل الشــوط جـــمـــيـــعـــا
دُردُرْ لا تــشك عـــــيــــا	ثـم لا تــســـقــط ســــريـعـــا
أنــت خـــــــدروفي ولــكــن	إن تــكـن تمـشـي قـــــوامـــا (1)

حيث التزم الأعاريض المزدوجة. وقصيدة عصفور(2) التي التزم فيها الإزدواج بين الضرب والعروض في سائر القصيدة.

ومن هاته الأشكال أيضا الرباعي كما في قصيدة «**أوهام أم حقائق**»(3)، أما الموشح فنقف عليه في قصيدة «الهباء المنثور»(4).

ج - الشعر الحر : الذي خرج فيه عن المألوف في القصيدة العربية القديمة، إلا أنه التزم بعدم تكسير التفعيلة وحفاظه على حركة الرَّوِي في أغلب الأحيان.

---

(1) - إيقاعات الهمزم صفحة 112
(2) - السابق صفحة 114
(3) - السابق صفحة 22
(4) - السابق صفحة 34

ويعتبر الشاعر من أوائل الخارجين عن النظام العمودي للقصيدة العربية، ومن السابقين إلى المناداة بالخروج عن الإطار الضيق الذي كانت تحيى فيه القصيدة المغربية على عهده ولعل قصائده «هروب مصيري»(1) «انحناءة»(2) «يوما فقط»(3) «لصوص الأدب»(4) بالإضافة إلى قصيدة «هل أنا أديب»(5) تحمل صورا واضحة الدلالة على ثورته على النظام القديم للقصيدة المغربية معنى ومبنى.

هكذا التزم الشاعر بالمكونات الأساسية التي تحفظ لإبداعه شعريته، وظل وفيا لهذه الأشكال في أشعاره جميعها التي مال فيها نحو البحور الصافية مع استعمال مجزوء الكامل والرمل أحيانا كما يوضح ذلك الجدول الآتي :

---

(1) - لوحات شعرية صفحة 94
(2) - السابق صفحة 96
(3) - إيقاعات الهمرم صفحة 29
(4) - السابق صفحة 62
(5) - لوحات شعرية صفحة 14

البحور	عدد النصوص	الصفحات	
		لوحات شعرية	إيقاعات الهموم
الكامل	14	9 - 42 (م) - 66 85 - 94 .	9 (م) - 26 - 37 (م) 70م - 81 - 90 - 95 (م) 96 - 106
الرمل	13	36 - 46 - 48 - 11 - 72	29 - 44 - 103 - 111 112 (م)
الوافر	10	24 - 29 - 30 - 40 - 52	27 - 33 - 72 - 89 - 91
الخفيف	10	17 - 26 - 43 - 44 - 51 64	39 - 54 - 73 - 97
البسيط	9	20 - 73 - 92	25 - 52 (م) - 53 - 65 80 - 107 (م)
الرجز	9	55 - 90	22 - 28 (م) – 34 (م) 49 - 51 - 52 - 114
الطويل	7	21 - 27 - 38 - 87	71 - 77 - 105
المديد	3	23 - 39	60
الهزج	3	81	32 (م) – 35 (م)
السريع	2	49 - 28	
المتقارب	1	14	
المتدارك	1	63	
المنسرح	1		16 (م)

هكذا نجد الشاعر أكثر من النظم في البحور الصافية، فالكامل والوافر والخفيف بالإضافة إلى الرمل والبسيط هي أكثر البحور المستعملة عند الشاعر، وتتلون هذه البحور ويتغير إيقاعها من الرتابة إلى السرعة ومن الجلجلة إلى الخفة بتغير المواضيع المنظومة، ذلك أن القضايا التي حفل بها المتن فرضت على الشاعر ألا يستعجل تقريرها مقابل ألا يسرف في التباطئ حين صبّها عبر قنوات خاطره، فقد كان في حاجة إلى إيقاع يجمع بين الجلجلة والخفة، لذا نجد الكامل يتصدر لائحة البحور المطروقة، وبحر الكامل من (أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لونٌ خاص من الموسيقا يجعله إن أريد به الجد فخما جليلا مع عنصر ترنّمي ظاهر، يجعله إن أريد به الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرّقة، حلوا مع صلصلة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقا أو خفيفا شهوانيا)(1). وأكثر ما استعمل هذا الوزن في قصائد الحماسية(2) وفي الرثاء(3).

وبعد الكامل يأتي الرّمل صاحب النغمة الخفيفة والتفعيلات المرنة، واستعماله في هذا المتن كان في نصوص ذات مواضيع مختلفة تجمع بين الحِكمة (4) والوصف(5) والحماسة(6). ثم يأتي دور الوافر والخفيف فالطويل وكلها من البحور ذات النغمة القوية الرنانة التي تسمحُ الزحافات الداخلة عليها بتعديل إيقاعها لتناسب الموضوع والغرض. إضافة إلى كون الشاعر قد مال أحيانا إلى المجزوءات وخاصة في الرّجزِ والكامل والبسيط(7).

(1) - د : عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : الجزء الأول، ص : 246 الطبعة الثانية 1970
(2) - انظر الصفحات 9-66-85-94 من لوحات شعرية، وصفحة 9 من إيقاعات الهموم
(3) - الصفحة 42 من ديوان لوحات شعرية، والصفحات 37-81 من إيقاعات الهموم
(4) - انظر الصفحات 36 و 81 من لوحات شعرية
(5) - انظر الصفحة 44 من إيقاعات الهموم
(6) - انظر الصفحة 26 من إيقاعات الهموم و الصفحات 9 و 96 من لوحات شعرية
(7) - اكتفيت بهذه الإشارات مع العلم أن الجانب الإيقاعي يحتاج إلى وقفة متأنية

II - الشعر المخطوط :

لقد رحل الشيخ عبد الله كنون وترك في خزانته نصوصا شعرية كثيرة ذات أغراض مختلفة وبناء فني لا يقل عن شعره المنشور في ديوانيه السابقين.

من هذا الإبداع ما سبق نشره في بعض الصحف والمجلات ومنه ما لا يزال حبيس أوراقه ينتظر فُرصة طبعه ونشره. وينقسم هذا الإنتاج إلى قسمين، قسمٌ جمعه رحمه الله ورتّبه وقدم له في ديوان سماه :

صنوان وغير صنوان :

وهو ديوان جمع فيه أشعارا خُوطب بها أو خاطب بها غيره من أدباء وعلماء عصره، مع استطرادات لبعض رسائل المذكورين أو للطفائهم الأدبية مما يشكل مجموعا أدبيا محررا يُستفاد منه في التراجم كما يستفاد منه في الأدبيات. إذ قدم رحمه الله لكل مُخاطِب أو مُخاطَب بمقدمةٍ يُعرف فيها بشخصيته وأعماله، وقد يستحضر فيها بعض ذكرياته معه كما هو الشأن مع الدكتور زكي المحاسني ومحمد رضا شرف الدين، أو يستحضر نماذج من أشعارهم كما هو الشأن مع خاشع الراوي وعبد الله بن الهاشمي الوزاني. مما يجعل من هذا الديوان مصدرا من مصادر دراسة أدب هذه الفترة، إذ يعرف بشخصيات أدبية وعلمية، ويسجل نصوصا شعرية لرجال لم يُعرفوا بنظم القريض، أهمل ذكرهم التاريخ الأدبي مع مالهم من إبداعات توحي بنبوغهم.

والديوان وثيقة صادقة التعبير عن الحالة الأدبية في هذه الفترة وعن الخطاب المتداول بين أدباء وعلماء هذا القرن، تكشف عن حقائق كانت مجهولة، وتوحي بنظرات وآراء كاشفة في بعض الأحداث والأوضاع، كما تنثر مقاييس نقدية هامة وتلقي الضوء على سير هؤلاء الشعراء والأدباء المخاطَبين أو المخاطِبين. والديوان أيضا معرضٌ لجوانب من سيرة عبد الله كنون ومن نشاطه الأدبي وعلاقاته بعلماء ونبغاء عصره المبنيّة على نوع من المكاشفة وتبادل الرأي. فقد جاء في قصيدة للأستاذ عبد الوهاب بن منصور :

بــلادي أنـــاخ بــكــلــكــلــه عليك زمـــانٌ يشـيب الصّـبي
أرى لك فــيـمــا أرى نِسـبـةً إلى اسـمـك مــوصُـولة السـبب
فــفــيك الغــرائبُ مــملوءة دِلاها إلى عـــقـــد الكرب
وفــيك العــجــائب حــاشـدة جــحــافل تـخطر في أهـب

ويا وطني داق فــيك المــجــال على كلٍّ حُــرٍّ غـــيــور أبي
تضــيق من الظلم أنفــاســه ويدعــو من الغــشم واحــر بي

وفي قافية لخاشع الرّاوي :

ينتــابُ نفــسي على أوطاني القلق فــيعــتــريني الأسى والهمُّ والأرقُ
كم أستشيط إذا مـا مسَّها نكدٌ حُــزنا وعندي فــؤادٌ كله حُــرقُ
ذَوَت شُجيراتُ بستان نعِمتُ بها وقـد تسـاقط من أغصـانهـا الورق
جلا نسيم الصَّبا عنها فبارحـها وكـان ينعش قلبي ريحـهـا العـبق

ولا يخلو الديوان من بعض أغراض الشعر العربي المعروفة كالحماسة والفخر والمدح والرّثاء. إذ تلوح من بين ثناياه أبيات حماسية أو مقاطع فخرية كما جاء في قصيدة أبي بكر اللمتوني :

عليك الســلام أخــا العــرب فنحن شــقــيــقــان في النسب
توحّـــدنا ذكــرياتُ الحِــمى وتجـــمـــعنا وحــدة الأدب
إن كنت للمــصطفى تنتـسـمي فــإني ابن من اصطفــاه النبي
وجــاهـد في نشــر مــبــدئه إلى أن كــســا رُقـعــة المــغـرب
وإن كنت صنهـاجي المـعــتـزى فــصنهــاجــة هي مــهــد أبي

أما المدح فهو الغرض الأكثر تداولا في الديوان والمعنى الذي لا يكاد يبارح أي نص. إذ ورد بأوجه مختلفة وأساليب متعددة. فقد جاء على لسان الأستاذ عبد الله كنون في مخاطبة الأمير شكيب أرسلان :

دُم حـــامـــلا علم العـــروبة حـــتى تقـــود بـه شـــعـــوبـه
قـــد رشـــحـــوك لهـــا فـــقم واقـــتـــد أبطال الكتـــيـــبـــة
كل يرى فـــيـــك الزّعـــيـــم المخلص الحـــسن النقـــيـــبـــة
الـذائـد الأحْـــــمـــي المدا فع عن كـــرامـــتـــه السليـــبـــة
بـالـســـــيـف والـقـلـم الـذي مـــا زلت توفـــيـــه نصـــيـــبـــه

وقال الأستاذ محمد رضا شرف الدين مخاطبا صاحب الديوان :

هب قـريضـي من السُّمـو كـمـالك وخـيـالي أفض عليـه جـمـالك
ويَراعي فـمُـره ترسل بيـانا يُرسل النور شـأنه أرسـالك
فـابنُ عـبـاد ان جـرى فـوق طِرسٍ في يمينه لا يجـاري شـمـالك

أما الرِّثاء فقد وردت منه قصائد مطولة كتلك التي أنشدها الفقيه محمد سكيرج في رثاء العلامة عبد الصمد كنون الحسني والد الشاعر، أو قصيدة صاحب الديوان في رثاء والده، بالإضافة إلى بعض الأبيات كتلك التي بعث بها الدكتور زكي المحاسني للشاعر بعد وفاة والدته، أو الأبيات التي قالها عبد الله بن الهاشمي في رثاء والد الشاعر.

وبصفة عامة فقد جاء هذا الديوان على شكل أضواء بعيدة تومئ بالتشجيع وتلوح بالصداقة والمحبة، وتدفع إلى مزيد من العطاء، وتعين على توثيق الأسباب، وتفتح النفوس إلى المكاشفة، وترضي النفس الظامئة إلى علاقة حميمة لا تقتصر على أبناء بلد واحد، بل تصل بين المشرق والمغرب العربيين على مستوى الثقافة والإبداع. ولقد بني هذا الديوان على مصراعين : أحدهما قصائد الشاعر ومقطعاته التي أنشدها ابتداء في مخاطبة غيره أو التي رد بها على من كاتبه شعرا فحرص على أن ياتي بها من نفس وزن وروي قريض مخاطبه، وثانيهما شعر خاطب به الشاعر ابتداء أو ردا على شعره، علماء وشعراء جمعتهم بعبد الله كنون علاقة حب ووفاء وتقدير، وهو قصائد ومقطوعات قيلت في أغراض مختلفة ومناسبات متميزة وشكلت الجزء الأكبر من هذا الديوان كما يوضح ذلك الجدول الآتـــي :

مطلع النص	الشاعر	عدد الأبيات	المناسبة أو الموضوع
أبا بكر أودِّعكم وإنِّي	عبد الله كنون	2	وداع وطلب رسم
أيا عبد الله إليك رسمي	أبو بكر بناني	2	تقديم الرسم المطلوب
أتيت ابن سينا أعود أخا	" " "	6	قالها في عيادته للشاعر
خليق أن نزف لك التهاني	محمد بودقة	7	يُهنئُ الشاعر بمناسبة زفافه
دم حاملا علم العروبة	عبد الله كنون	18	يخاطب الأمير شكيب أرسلان
أهلا بنابغة الجنوب ومرحبا	" " "	7	يرحب بالشاعر محمد بن ابراهيم بمناسبة زيارته لطنجة.
وداعُك يابن ابراهيم صعب	" " "	2	في وداع الشاعر بن ابراهيم
ها طنجة أضاءت ضياء الكهرباء	عبد الله بن الهاشمي	35	تخميس الأبيات السابقة في الترحيب بشاعر الحمراء.
أبى توديع حضرتك المحب	" " "	25	تخميس بيتي الوداع
في العلم والعرفان لم يدرك أحدٌ	" " "	29	في مدح الشيخ عبد الصمد كنون بمناسبة ختمه للبخاري.
يا سائلي عن حال طنجة بعدما	" " "	2	رثاء الشيخ عبد الصمد كنون

اللـه يرحـم گنـون المرتضـى	عبد الله بن الهاشمي	2	رثاء الشيخ عبد الصمد گنون
ولـو أنني أهديت تبـراً أو الـدُّرا	أحمـد بـن قاسم	5	قالها بمناسبة زيارته للشاعر
مقامكم فوق السِّماكين والشعـرى	عبـد اللـه گنـون	4	في الترحيب بأحمد بن قاسم
زيَّنت مـائـدة الفطـور بتُحفـة	" " "	3	قالها في تمر أهداه إياه الدكتور تقي الدين الهلالي
ألا أيها الشعشوع كيف هجرتني	تقي الدين الهلالي	11	كتب بها إلى الأستاذ الشعشوع حين عينه نائبا عنه في إدارة مجلة "لسان الدين".
مختصـر نـاهـيـك مـن دليـل	عبـد اللـه گنـون	6	قالها في تقريظ مختصر هُدى الخليـل للدكتـور تقـي الديـن الهلالـي.
سـلام على طنجـة بعـدمـا	عبد الوهاب بن منصور	101	بمناسبة زيارته لطنجة وللشاعر
شعـورك أذكـى مـن اللهـب	عبـد اللـه گنـون	35	رد علـى القصيـدة السـابقـة
وسيـد قد رأى عينـي مغمضـة	عبد الوهاب بن.منصور	4	رأى عبد الله گنون النوم يداعـب عينـي الشاعـر فنبهه فأجابه بهذه الأبيـات.
تحيـات الحبيـب وإن تبـاعـدت	الدكتور زكي المحاسني	5	تحيـة وترحيـب
إذا رفـع الزمـان عليـك شخصـا	الإمـام مـالـك	4	كان الدكتور زكي المحاسني قد شكا إلى الشاعر ظلم الزمان له فأجابه عبد الله گنون برسالة ضمنها هـذه الأبيـات.

صديق في مكانته قريب	زكي المحاسني	4	رد على الرسالة السابقة
سقى الله عهدا بات ندمان قاطعه	" " "	6	شوق وحنين لرؤية الشاعر
لظن سلو الخلٌ مما يطاوعُه	عبد الله كنون	6	رد على الرسالة السابقة
يا أم ربٍّ الحجي يأم كنون	زكي المحاسني	10	رثاء والدة الشاعر
لئن طلعت شمس الكواكب في الشرق	" " "	2	تحية ومدح
يقول صديقي مُحرز الخصل في السُّبق	عبد الله كنون	4	رد على البيتين السابقين
قرٌ شِعري على شطوط المغارب	زكي المحاسني	1	مدح جلالة الملك الحسن الثاني
هوِّن عليك فلطف الله فيك خفيٌ	محمد بن موسى	30	قالها بمناسبة شفاء الشاعر عبد الله كنون من مرض ألَم به عام 1369.
يا بادل التالد والطارف	" " "	7	زار الشاعر عبد الله كنون بمقر عمالة طنجة فلم يعرفه رؤساء المصالح، ورفضوا إدخاله فقال هذه الأبيات.
حاشاك أن تحجب من عارف	عبد الله كنون	13	رد على الأبيات السابقة
يا بادل التالد والطارف	محمد بن موسى	16	نفس النص السابق مع تعديل وإضافات
أبدر التمٍّ يا سمْح الخليفة	عبد القادر بن موسى	3	مدح مولاي عبد الحفيظ
خبِّرونا أهل الحجا ما اسم عين	محمد سكيرج	2	لغز

دونـك الحـل يأديبـا منيـفـا	عبد الله كنون	4	حـل اللغـز السـابق
بعد سلام عـاطـر مُرونَـق	محمد سكيرج	9	يستهدي شرح الشمقمقية
يا بحـر علم دائـم التدفـق	عبد الله كنون	9	در على الأبيات السابقة
أديب دهـرنـا تـميـم الـدار	محمد سكيرج	11	يستدعي الشاعر إلى حفل أقامه بمناسبة إكمال نظم الخصائص الكبرى للسيوطي.
يـا عـالم القطـر وشيـخ البلـد	عبد الله كنون	4	رد على الدعوة والأبيات
اللـه حـيٌ واحـد فـرد صـمـد	محمد سكيرج	41	في رثاء الشيخ عبد الصمد كنون والد الشاعر
هـو الموت لا يتحـاشـا أحـدا	عبد الله كنون	37	فـي رثـاء والـده
وأطلـت الهجـر فـذا سفـري	محمد رضا شرف الدين	10	شـوق وتحـيـة
ورَدَت فمسحـت بـهـا بـصـري	عبد الله كنون	10	رد على تحـيـة
هـب قريضـي من السموٌ كمـالك	محمد رضا شرف الدين	15	تحية وتهنئة بالعيد
عاثـر الخطـو من يجـاري كمـالك	عبد الله كنون	13	رد على التحية والتهنئة
عـاد الأميـن مـن العيـادة بعـدما	أحمد بن شقرون	28	تهنئة بمناسبة الإبلال من مرض
إن الكـلام لـفـي الـفـؤاد وإنـمـا	عبد الله كنون	12	رد على التهنئة
مـن الخـرطـوم مـن بـلـد	علي الصقلي	2	تـحـيـة
ألا أهـلا بتـذكـار	عبد الله كنون	10	رد على تحيـة

عليك السلام أخا العرب	أبو بكر اللمتوني	41	تحية وسلام
ذكرتك والأشباه واسطة الذكر	" "	17	" "
بباقات الرياحين	محمد العلمي	39	تهنئة بمناسبة تعيين الشاعر رئيسا للمجلس العلمي بطنجة.
هنيئا بالنقاهة والشفاء	" "	6	تهنئة بمناسبة الإبلال من مرض
أديب دو أفانين	عبد الله كنون	8	رد على التهنئة الأولى
رعاك الله رعيك للإخاء	" " "	6	" " الثانية
حُسن الحباء من الحِبِّ الرضيِّ الحسن	محمد الطاهري	25	قصيدة مدح وشكر على كتب أهداها الشاعر للمادح.
حُييت يانبعة العلياء والشرف	عبد الله كنون	2	رد على الشكر والمدح
وفَّى بوعده حبُّنا إذ زارني	محمد الطاهري	5	شكر على زيارة
يا صالحا وأنت وسطى العقد	عبد الله كنون	4	كان الشاعر مريضا فاستدعى الشيخ القزاز بهذه الأبيات.
يا من تسامى في العلا والمجد	صالح القزاز	5	رد على الأبيات السابقة
" " تناهى " " "	" "	10	نفس النص السابق مع تعديل وإضافة
فديتُك من كريم لا يبالي	عبد الله كنون	9	كان الشيخ صالح القزاز قد استدعى عبد الله كنون

			لبيته فاعتذر له بهذه الأبيات.
يـا حسـنـي هـذه	محمد عبد الغني حسن	3	أهدى الأستاذ محمد عبد الغني حسن كتابا للعلامة ومعه هذه الأبيات.
هـديـة سنـيَّـة	عبد الله كنون	5	رد على الأبيات السابقة
ها هنا العقاد قمنا خمسة	محمد عبد الغني حسن	8	أهدى للعلامة كتابه "العقاد وقضية الشعر" ومعه هذه الأبيات.
ظفر العقاد منكم بالألى	عبد الله كنون	9	رد وشكر
هذه الأصداء فيها نغم	محمد عبد الغني حسن	3	أهدى للعلامة (ديوان النيل) ومعه الأبيات
يارعى الله أخا زادني	عبد الله كنون	4	شكر ورد
يا من يراعته كالسيف تمتشق	عبد القادر المقدم	33	في مدح العلامة ومدح كتاب النبوغ المغربي
تسمو النفس بعشرة الأخيار	" " "	78	خاطب بها العلامة بعد عودته من الاجتماع التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي.
أيه أبا نصر رعاك الباري	عبد الله كنون	7	رد على القصيدة السابقة
خدن علم عزٌّ مُدركَه	عبد القادر الشاط	12	في مدح العلامة
خشعت لشعرك يا خاشع	عبد الله كنون	2	أهدى للعلامة ديوانه "مع النفس" فشكره بهذين البيتين.

[illegible]	أبو بكر اللمتوني	41	تحية وسلام

ينتاب نفسي على أوطاني القلق	خاشع الراوي	10	قصيدة وطنية بعنوان "آهات" ص 104 من ديوانه
ألم بقلبي من لقاك سرور	محمد اللواح	15	مدح وتهنئة بمناسبة تعيين الشاعر على رأس المجلس العلمي بطنجة.
لما اجتمعت بشيخ العلم والدين	زهير الزاهري	3	مدح
شكرا زهير جزاك الله عارفه	عبد الله كنون	2	شكر

«كذا جاء الديوان من 32 قصيدة و47 مقطوعة للشاعر منها ثماني قصائد (148 بيتا) و22 مقطوعة (109 أبيات) وهو ما يمثل جزءا بسيطا من الديوان لا يصل إلى الثلث، أما شعر غيره فهو ما يمثل القسط الأكبر من هذا المجموع 683 بيتا تتوزع كالتالي :

24 قصيدة : 577 بيتا.

25 مقطوعة : 106 أ بيات.

ومصدر هذا التباين العددي بين شعر الرجل وشعر غيره هو ضياع الكثير من شعره الذي خاطب به أصدقاءه ابتداءا أو ردا على مخاطباتهم، في الوقت الذي احتفظ فيه بجل الأشعار التي خوطب بها، وهذا ما نبه عليه في المقدمة حين قال : «على أننا فقدنا بعضا من هذه المخاطبات وبعضا مما أجبنا به على بعضها واتصلنا بمن خوطب بها فوعد بإرسالها إلينا ولم يفعل وهو عذر نقدمه للقارئ قبل المغني بالأمر إذ كنا قد أعذرنا إليه».

ولم يقتصر هذا المجموع على النصوص الشعرية فحسب بل حوى بالإضافة إليها مقدمات تعريفية بشخصية وأعمال كل مخاطَب أو مخاطِب من تحبير صاحب الديوان يستحضر في بعضها ذكرياته معه ويسجل مناسبة النص الشعري الذي خاطبه به، وقد لا يقتصر على نشر الشعر فحسب بل يسجل الرسالة التي وصلته من مخاطبه بأكملها شعرها ونثرها حرصا منه رحمه الله على جعل القارئ أمام نماذج شعرية ونثرية لثلة من علماء ونبغاء عصره، الأمر الذي يطرح علينا ضرورة تأمل هذه النماذج الإبداعية التي تتعلق بحس التواصل العلمي والأدبي وتوحي بتشابه التجارب ووحدة الموضوع والفكرة أحيانا، أو الإبتكار والإضافة أحيانا أخرى، مما يتراءى لنا على المستوى الشكلي في المادة اللفظية المتبادلة بين الشاعرين أو في أسلوب الصياغة وعلى مستوى الوزن والقافية والعناصر التصويرية التي تتوزع على سلم التصوير البياني. ومن هنا تتكشف العلاقة الخارجية لكل نص ابتداءا من صلته بمبدعه وصلة مبدعه بالشاعر إلى الغرض الذي اختاره أو راجع صاحب الديوان فيه، لأننا نقف على ديوان من شكل خاص يحتوي على إبداع عبد الله گنون الشعري وعلى لمحات من أسلوبه النثري متمثلة في

تقديمه للنصوص وتعريفه بأصحابها، كما يضم أشعارا كثيرة لشخصيات عديدة مع نماذج من أساليبهم النثرية مما يجعلنا أمام صور من الرسائل الشعرية التي يمكن أن تدرج في إطار المراجعات أو المعارضات الشعرية حيث تتوحد بين الشاعرين «الأطر الشكلية للقصيدة وتتشابه التجارب، ومن تم يبدو الشاعران كأنما قصدا بالفعل إلى هذا الضرب الفني من ضروب الإبداع الشعري... ولعل شاعر الرسائل - بهذا الشكل - يقترب مما رصد في دواوين الشعر العربي من شعر الأندية الأدبية التي يتواجه فيها الشاعران، ويصبح النظم أساسا للتعامل بينهما، وإن شئت فقل هو أساس لهذا التباري الفني الذي اتسع مجاله باتساع هذه الأندية وكثرتها خاصة في العصر العباسي»(1).

وكان عملي في هذا الديوان منحصرا في التعريف بأعلامه وتوضيح تلميحاته وهو ما جمعته في آخره تحت عنوان : «هوامش وتعليقات».

أما القسم الثاني من شعره رحمه الله فهو الذي أدخلته تحت عنوان :

أشعار أخرى

وهي مجموعة من النصوص الشعرية التي تركها الشاعر متفرقة، بعضها على أوراق مبعثرة كتب عليها «كثير مما في هذه الأوراق من شعر ليس مما أرضاه ولا أريد نشره لأنه بحاجة إلى الصقل ولم أوفق بعد لتحريره» وبعضها الآخر في مذكرات الجيب، في حين ترك نُصوصا منقحة محككة منقولة في دفتر خاص كان يجمع فيه نصوصا ينوي طبعها(2). وقد تحريت كثيرا في اختيار نصوص من تلك الأوراق المبعثرة، خوفا من أن تكون من تلك التي لا يرضاها، فاخترت ما استقام منها أولا - وإن كانت كلها تستقيم في وزن معين - ثم انتقيت ما يُوافق نفسيته في أخريات حياته تاركا بعض المعاني والأغراض التي قالها في أيام شبابه، أو في مواقف معينة قد لا يرضى أن تؤثر عنه.

---

(1) - المعارضة الشعرية بين التقليد والإبداع : عبد الله التطاوي ص 97 دار الثقافة 1988

(2) -كتب رحمه الله على غلاف الدفتر الجامع لهذه النصوص : نصوص لديوان : وتركه هكذا، لعله كان يفكر في عنوان الديـــوان.

أما تلك التي تركها في مذكرات الجيب أو على بعض الأوراق المرتبة فقد جمعت أبياتها ونظمتها، إذ وجدت أبيات بعض القصائد متفرقة على أوراق متعددة، مثل قصيدة «الربيع الحزين» حيث قُمت بترتيبها ثم تسجيلها مع النصوص التي تركها الشاعر منقّحة محككة.

وينقسم هذا الشعر باعتبار زمن نظمه إلى قسمين : قسم قاله الشاعر في أيام شبابه وهو شعر الغزل والوصف وبعض القصائد الوطنية، وقسم قاله في أخريات حياته وهو الشعر الذي ينتقد فيه واقع العالم العربي والإسلامي أو يوجه فيه نصائح لأبناء أمته، أو يتوجه فيه إلى ربه مبتهلا متضرعا طالبا العفو والرِّضوان. وقد أشرت إلى زمن نظم كثير من النصوص محددا تاريخ ذلك في بعضها، كما ذكرت مناسبة بعضها الاخر، وشرحت تلميحات وإشارات الشاعر في نصوص كثيرة. وسيلاحظ القارئ أن هذه المجموعة تعكس إبداع الشاعر في جل مراحل حياته وتحمل صورة عن تطور مفهوم الإبداع عنده. كما تمثل الإتجاه الشعري عند المغاربة الذي تربى شاعرنا في أحضانه، فالشاعر فقيه وعالم والشعر عنده وسيلة لنشر علمه وشرح مواقفه يقول الشاعر (هناك نوعان من الشعراء : شاعر يجعل من الشعر مهنته، هذا تغلب عليه صفة الشاعر، وآخر يضيف إلى الشعر اهتمامه بالعلوم والنوع الثاني هو الذي كان سائدا في العصور الأخيرة في المغرب)(1) وإلى النوع الثاني ينتمي شاعرنا لهذا فهو قد طرق أغراضا شتى وقال في مواضيع مختلفة.

وأخيرا لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى الأستاذ عبد الصمد العشاب قيم مكتبة عبد الله كنون الذي رافقني في هذا العمل من بدايته إلى نهايته فقرأ معي النصوص ونبهني إلى مناسبات بعضها ثم راجع معي المتن الشعري جميعه في الأصل. فجزاه الله أحسن الجزاء.

ولنفس المناسبة التحية والتقدير للأصدقاء الأساتذة : حسن الأمراني، حسن الغرفي، المفضل الكنوني.

ولفقيدنا العلامة الشاعر الرحمة والغفران وخالد الجنان.

---

(1) - مجلة الكرمل العدد : 11 - 1984 صفحة 137

ديـــوان

صنوان وغير صنوان

مقدمة الأستاذ عبد الله كنون

تتضخم بعض الدواوين الشعرية بالقصائد والمقطعات التي قالها أصحابُها في مخاطبة أصدقائهم وخلصائهم مما يُطلقون عليه وصف الإخوانيات، وإذا كان مفهوم الشعر في العصر الحديث لم يعد يتلاءم مع هذا النوع من الإنتاج المنظوم، فقد أصبح إبعاده عن المادة الشعرية المخطوطة من المُتعين على قالة الشعر المبدعين، وإن كان لا يجوز نبذه بالعراء لما فيه.من مشاعر شخصية وانطباعات اجتماعية، وما يتضمنه أحيانا من التماعات شعرية حقيقية لذلك صح إفراده بمجموعة خاصة و"تدوينه" على حِدة لمن يهمهم الأمر ويدفعهم الفضول إلى الاطلاع عليه.

وهذا ما فعلناه في هذا الديوان المشترك الذي جمع بين ما قلناه جوابا لمن خاطبنا بشيء من هذه الأشعار أو خاطبناه ابتداءا فأجابنا، ومن خاطبنا فلم نُجبه أو خاطبناه فلم يُجِبْ إذ لم تكن الظروف تتطلب ذلك. ومن ثم أطلقنا عليه هذا الإسم :

(صنوان وغير صنوان)

وهو يتضمن لمحة من الشاعرية إذ كان مقتبسا من القرآن الكريم سورة الرعد الآية الرابعة التي تقول : (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ونخيل صنوان وغير صنوان تُسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل).

على أننا قد فقدنا بعضا من هذه المخاطبات وبعضا مما أجبنا به عن بعضها واتصلنا بمن خوطب بها فوعد بإرسالها إلينا ولم يفعل، وهو عذرٌ نقدمه للقارئ قبل المعني بالأمر، إذ كنا قد أعذرنا إليه.

وأخيرا فإننا نرجو أن لا يُعتبر هذا الإهتمام بما خُوطبنا به أو خاطبنا غيرنا من التبجُّح والتباهي، فإننا لسنا هناك، ومذهبنا في هذا الصدد قول أبي تمام :

ويُسيء بالإحسان ظنًّا لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفْتُون

أبو بكر بناني(1)

لعل أول ما خوطبت به من النظم قول الفقيه الأديب البارع السيد أبي بكر ابن الفقيه العلامة قاضي الرباط السيد أحمد بناني، وكنت مع والدي في زيارة للعاصمة وأنا في الخامسة أو السادسة عشرة فطلبت منه رسما بهذين البيتين :

أبا بكر أوَدّعكم وإنّي ... لأقْدُر فضْلَكم في كل باب
وأرجو منكمُ رسما كريما ... أنالُ بفضله حُسن الإياب

فأعطانيه وكتب لي بهذين البيتين :

أيا عبد الإلاه إليك رسمي ... جليس الربع مُخضر الجناب
أنافِس في المعالي والعوالي ... لأن العُمْر في شرخ الشباب

وهو حفظه الله من ألمع أدباء الرباط كاتب مُجيد وشاعر مُحسنٌ تقلب في عدة وظائف منها العضوية في مجلس الإستيناف الأعلى.

وفي هذه المدة التي عرفته فيها لأول مرة لم تكن بيني وبينه نسبة في السن ولا في الشهرة، ثم بعد زمن طويل كنت مريضا ودخلت مستشفى ابن سينا في العاصمة للعلاج فعادني مرتين وكان قد أضر وخاطبني بهذه الأبيات(2) :

أتيت ابن سينا أعودُ أخا ... أتاه مريضا بقصد العلاجْ
وقلت له كيف حال الذي ... نودّ شفاه وكيف المزاجْ
فأجاب بأني في حالة ... تُبشر حتما بقُرب انفراجْ
فقم من فراشٍ وسرْ سالما ... لأهلك فورا بكل ابتهاجْ
وتقضي زمانا هناك بما ... تُسَرُّ به النفس دون انزعاجْ
وتُحفظ من كل سوء على ... ممرِّ الليالي وأنت السِّراجْ

ابا عبد الله محمد البلنسي
جليساً ربع مخضر الجناب
أفدى ميس في المعالي والعوالي
من العمر في شرخ الشباب

صورة للبيتين الشعريين بخط يد الفقيه أبي بكر بناني

محمــد بـودقــة(3)

اديب نابغة من اهل طنجة، نظم الشعر بالسجية من غير كبير تعليم، وكتب بعض الروايات، ضاعت آثاره لانه احتضر في عنفوان الشباب، وكان من لداتنا. توفي رحمه الله في نحو الخامسة والعشرين من العمر.

من قوله يخاطبني عند زواجي :

خليقٌ أن نزُفّ لك التهاني — بما قد نلت من شرف القِرانِ
وأن نسعى إليك بها كِراما — كما نسعى بها لرفيع شان
لقد أمسيت فينا بدر تمّ — لكُمْ نرنو بحب وامتنان
يَرَاعُك يسحر الألباب سحرا — كما تُزري بها بنت الدِّنان
وحظك في البيان غزير وفر — كما شهدت بذاك ذوو البيان
وقولك في الحديث يكون فصلا — على مرٍّ الحوادث في الزمان
فلا تعجب بما لك عند قومي — من القدر الرفيع بدون ثانِ

* * * * *

أبا سلْم لك العلياء وافَتْ — تُخاصركم إلى القِبب الحِسان
وحسبُك من مديحك أن تراها — تغنّيك المثالثَ والمثاني
فسُد واسعد بعرسك من عروسٍ — أتت في حِلية العرض المُصان
بجاه رسولنا المبعوث طه — عليه صلاة ربي كل آنِ
ودُم ما عشت للعلياء كفؤا — تسير إلى الرُّقيّ بلا توان

لهذا الأديب شعر منشور في جريدة السعادة وفي جريدة إظهار الحق التي كانت تصدر بطنجة. وكلمة "أديبان" في كتابي "التعاشيب"(4) عنه وعن أديب مشرقي ورد علينا وكانت به مشابه من صاحبنا اسمه رشيد مصوبع(5).

وفي العدد الثامن من مجلة السلام(6) صورة لابي دقة بمناسبة نعيه رحمة الله عليه في صفر عام 1352هـ.

الأمير شكيب أرسلان(7)

قلت أخاطبه وقد حمل إلى السائح العراقي : يونس بحري تحية كريمة من عطوفته عام 1930(8).

دُمْ حاملا علم العروبة   حتى تقود به شعوبَهْ
قد رشحوك لها فقم   واقتدْ أبطالَ الكتيبهْ
كل يرى فيك الزعيم   المخلص الحسن النقيبهْ
الذائد الأحمى المدا   فع عن كرامته السليبهْ
بالسيف والقلم الذي   ما إن يَرى أحد ضريبهْ
في الشرق والغرب الذي   ما زلت توفيه نصيبهْ
هذا الجهاد زَرَى بمن   أذكى لِأطماعٍ حُروبهْ
هذا الرِّباطُ فأين من   يَبْغي السعادة والمثوبهْ
لا شيء أفضل للفتى   من بَذْله النفسَ الحبيبهْ
ومن الكفاح لغايةٍ   في هذه الدنيا رغيبهْ
ولأنت يا مولاي من   هذا بمرتبةٍ رتيبهْ
شهد العيانُ فما البيا   ن بُعَيْدَهُ إلا لِريبَهْ
هذي المشارقُ والمغا   ربُ كلها لكَ مستنيبهْ
وإذا دعوتَ فإنّها   بالطوع تأتي مستجيبهْ
وإذ مُلمٌّ هاضها   نادتك طُرا واشكيبهْ
مُلك على عرش القلو   ب ورِثت فيه أباً صليبهْ
أعني به المولى جما   ل الدين(9) ذا الشِّيم العجيبهْ
فاهنأ به واسعد ودُم   في حلة العزِّ القشيبهْ

شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم(10)

زار طنجة في حدود عام 1350 زيارته الاولى التي قال فيها قصيدته المشهورة في المطعم البلدي وقد حيّيْتُه بهذه القطعة :

أهلا بنابغة الجنوب ومرحبا　　أهلا بمُلقحِ زُهر هاتيك الرُّبى
الشاعر الفذُّ الذي خلب النُّهى　　ببدائع وروائع ما أعجبا
مراكش الحمراء أهدته لنا　　لله من مراكشٍ ما انجبا
قد طالما محلَتْ وأخلف غَيثُها　　واليوم أخرجَتِ النبات الطيبا
ذاك ابن ابراهيم فردُ زمانه　　من لاح في أفق البراعة كوْكَبا
وأقام من أوَدِ الشعور يراعُه　　وزها به روضُ البيان وأخصبا
أدبٌ لديه تفتحت أكمامُهُ　　عن مثل عَرف الياسمين وأطيبا

ولما ودّعنا عازمًا على العودة الى بلده خاطبته ايضا بهذين البيتين :

وداعك يابن ابراهيم صعْبٌ　　ولستُ له الغداةَ بمستطيعِ
فأنت ربيع قلبِ الحبِّ حقّا　　ومن يسطع توديع الربيع

وقد خمس القطعة الاولى شاعر طنجة الاديب المجيد السيد عبد الله ابن الهاشمي(11) فقال :

ها طنجة أضاءت ضياء الكهربا　　والقلب منه قد انطفئت نار الصبا
إذ قال عبد الله قولا طيِّبا　　أهلا بنابغة الجنوب ومرحبا

أهلا بمُلقح زهر هاتيك الرُّبى

المجتلي ثمرات علم تُشتهى　　المعتلي بالإجتهاد على السهى
المرتقي بسما المحاسن والبها　　الشاعر الفذ الذي خلب النُّها

ببدائع وروائع ما أعجبا

هو تُحفةٌ من جاءه نال الغنى من فضل معلوماته ورأى الهنا
أعلمت مُهديه لنا لمحلنا مراكش الحمراء أهدته لنا

لله من مراكش ما أنجبا

وقديمها بمعارف وحديثها كلٌّ يُعظمها لأنه ليثُها
فالله نافعها به ومغيثها قد طالما محلت وأخلف غيثها

واليوم أخرجت النبات الطيبا

سبحان(12) هذا العصر قُسُّ(13) زمانه الآخذُ الأدب البهي بعنانه
والفارس المقدام في ميدانه ذاك ابنُ ابراهيمُ فرد زمانه

من لاح في أفق البراعة كوكبا

والحُسنُ فيه تجمعت أنواعُه ويطول في نَثْرٍ ونظم باعُه
ويزيد حسنا فيهما إبداعه وأقام من أَوَدِ الشعور يراعُه

وزها به روضُ البيان وأخصبَا

وترنمت بالشعر فيه حمامُهُ وجرت جداول سحره فَنظامه
سحرٌ حلال طيب وكلامه أدب لديه تفتحت أكمامه

عن مثل عرف الياسمين وأطيبا

كما خمس بيتي الوداع فقال :

أبى توديع حضرتك المُحبُّ وحار لبعد وجهك منه لُبُّ
ولا يلقى عليه الصبرَ قلبُ وداعُك يابن ابراهيم صعبٌ

ولست له الغداة بمستطيع

وكـيف وزهر شـعـرك قـد ترقى　　بحـسن زاد في الآداب عِـشـقـا
وأطرب نثـره غـربا وشـرقـا　　فـأنت ربيع قلبِ الحب حـقـا

ومـن يـسـطـع تـوديـع الـربـيـع

وقد أجاب المخاطب عن هذا الشعر بأبيات بقيت عند المخمِّس ولست أتذكر منها شيـئـا.

عبد الله بن الهاشمي(14)

أديب شاعر مكثر ينظم سجية، ويضمن شعره ملحا ونكتا غريبة مما يلاحظه ويتسقطه من أحوال المجتمع والناس في بلده طنجة على الخصوص.

وهو ينتسب الى مدينة وزان، وكان والده خطيبا بالجامع الاعظم واسمه محمد ولعل جده الهاشمي هو الذي قدِم الى طنجة، وله صلة نسب بالشيخ الرهوني ولعله من اسباطه.

لم تجرِ بيني وبينه مساجلة ولا مخاطبة غير التي مرت في ترجمة شاعرالحمراء. وقد تواردتُ وإياه على بعض الموضوعات كجواب لغز للفقيه سكيرج يأتي في ترجمة هذا الاخير.

ولذلك، ولقصيدته التي مدح بها الوالد رحمه الله بمناسبة ختمه لصحيح البخاري في المسجد الاعظم بطنجة يوم الاحد 17شوال1341هـ (15)، ولما كان بيني وبينه من مودة وتفاهم على فارق السن والاتجاه احببت ذكرَه هنا.

وهذه قصيدته(16):

في العلم والعرفان لم يُدرك أحد ... ما أدرك المولى الرضى عبد الصمد(17)
العالم المشهور كنون الذي ... ورث المكارم من أبيه خير جد(18)
الماجد الأرضى النزيه المرتضى ... واجلُّ من في المكرمات قد اجتهد
الواعظ الوَرِع الخطيب المنتقى ... والمرشد الأحظى التقيُّ مفتي البلد
سلْ عنه أهل الفضل تعلم قدره ... في كل عزٍّ في الكِرام به انفرد
سل عنه من قرأ العلوم بأرض فا ... س تجده منه أو أبيه قد استمد
وسل الديانة والعبادة عنه من ... ترضى تجده على قيامهما هجد
وسل المساجد كم له من مجلس ... في العلم منذ لأرض طنجة قد وفد
هو في جميع العلِم أكبر آية ... وبكل فهم لا يماثله أحد
كم من قضايا في النوازل حلها ... ومن بعد ما أعيت أناسا لا تعد

وله فــتــاوي لا تُرد كــأنـهــا ... في العالمين دعا التقي **إذا** سجد
أنستْ فـتـاوي ذلك (المهدي)[19] بما ... فيها من الأتقان فهي المعتمد
في جـيـدها من رأيه درر الهُدى ... وبجيد فتوى الغير حبل من مسد
ومـؤلفـات مـا رأت مـثـلاً لهـا ... عين ولا كـتـبت بهـذا العـصـر يدْ
فيها اختصار وهي عند نوي النُّها ... في كل فـائدة أعـز من الولد
ويميل طبعه للخضوع تواضعا ... منه ومجده في الثريا قد قعد
عادت على تلميذه بركات صحبـ ... ـتـه بفتح في العلوم بغير كد
إن قام يخطب تخشع العلماء من ... تأثير خطبته الصحيحة بالسندْ
صوت المنابر في الدخول لبيتها ... ما هو غير بكًا بوعظه والرشد
وعصيُّها لم تستقم إلا بكثـ ... ـرة نُصحه لِما عليها قد سند
ختم البخاري بالسعادة فاستقى ... منه الترقي في الصواب بغير حد(*)
وأبى على الكرسي القعود لأنه ... خشى العيون يناله منها الحسدْ
لم تحضرنّ عدولُ طنجة عنده ... إلا لتشهد أنه حاز الرّشد
ختم أتى بمسائلٍ علمية ... ومعارف في الشرع لم تكن في خَلَدْ
ختمٌ كأن الدهر أخّر يومَه ... ليكون إثره فتح مسألة البلد
يا عالما كثُرت فضائله التي ... هي الكواكب في العلُوِّ وفي العدد
ما كان ختمك للبخاري المرتضى ... في مسجد إلا لسرٍّ يُعتقد
حليت زاوية التجاني قد كَفَا ... ها درسكم عنه رَوَت سند المَدد(*)
لا زلت تختم في حديث المصطفى الـ ... كتب الصحيحة بالهنا يوم الأحد[20]

وله رحمه الله في رثاء الوالد :

يا سائلي عن حال طنجة بعدما ... مات الفقيه المرتضى جنون
قد كان عقلا ساكنا في رأسها ... فأصابها بالفقد منه جُنون

(*) – لعله يوري بالجرائد الثلاث التي كانت تصدر حينذاك باسم "السعادة" و"الترقي" و"الصواب" وهذه الأخيرة ترنسية
(*) – كانت أكثر دروس الوالد بالزاوية التيجانية فأشار الشاعر إلى ذلك.

ولـه أيضا ، وفيه معنى من التورية بحي السكنى هذا :

الله يرحم كنون المرتضى   زاوية الفضل وجامع الكرم
لم يبغ فردا من بني القصبة إن   يلثمه في يده إلا القلم

أحـمـد بـن قـاسـم(21)

فـقـيـه أديب تقلب في مناصب منهـا القـضـاء وكـانت له عـلاقـة مع كـثـيـر من الشخصيات العلمية والإجتماعية، زارني في منزلي بالجبل وكان أول ما خاطبني به قـوله : باب الرحلة في طلب العلم من تراجم صحـيح البـخـاري فـقلـت له : إن هذا تواضع كبير منك وقد استسمنت ذا وَرَمٍ(22). وناولني البطاقة التالية :

الحمد لله : طنجة في 21 رجب 1381 30 دجنبر متم سنة 1961

سيدي العلامة الشريف أبو محمد عبد الله گنون تقبلوا احترامي وتقديري لعالميتكم وما يليه :

ولو أنـنـي أُهـديتُ تِبـــرا أو الدُّرا ... لكان بجنب عـــالـمـيــتكم نزرا
ولِمْ لا ؟ وأنـت رفـــعـــةٌ وزهـادة ... نظرت لدنيا الناس أجمعها شزْرا
لـذاك رأيــت أن تــكـون هـديـتـي ... كـرمـز لحبٍّ خـالد فـيك أو ذكـرى
فـجـئت بهـا حـبـات تمْرٍ مناسب ... حُلْوٍ كـانت أو شـمـائلك الغـرّا
فـجُـدْ بقـبـولٍ منك يُعلي مكانهـا ... وأوسع أيا عبـد الإلاه لهـا الصـدرا

مخلص الود : أخوكم أحمد بن قاسم - لطف الله به !

وقد أجبته بهذه الأبيات :

مـقـامكم فوق السِّمَاكين والشِّعرى ... ونظمكم أحلى من الأمن والبـشـرى
فــهل أنتم في حــاجــة لوسـيلة ؟ ... لإهدائكم تمرا ونظمكم شـــعـــرا
أبت لكم الأخـــلاق وهـي كـــريمةٌ ... تزورون إلا أن تنيلوا يدا أخـــرى
فـأهلا وسـهـلا بالوداد مُـجـسَّـمـا ... وبالأدب العـــالي بدائعُـه تَتْـــرى

وهو الذي عرفنا بمكان الزاوية الدلائية وكان الباحثون مختلفين فيه، وذلك لقربه من المنطقة وكتب عنها مقـالا نشرناه له في جريدة الميثاق(23) رحمه الله وجزاه خيرا.

الخميس قسنطينة 2 رجب 1381 و 9 ديسمبر 1961

من العلامة الشيخ أبو محمد عبد الله كنون

تقبلوا اشتراكي وتقديري لمجلتكم وما يليه

ولولا أهديت ثم أرى الدرا

كلا يجب عاملكم شكرا

ولم؟ ولست رفعة وزهادة

تعرف لدى الناس أجمعها شكرا

لذلك رأيت أن تكون هديتي

كم من كتب خالد مجاوره كرها

جميت بها حسنات ثم مناسب

حلوى كأنه أو شيما يلك الدرا

مع بقبول مني يقلى مكانه

وأوسع ... أيا عبد الرحمن لها الصدرا

صـــورة للرســـالة والأبيـــات بخط

الأديب احـــمـــد بن قـــاسم

الدكتور تقي الدين الهلالي(24)

في غنى عن التعريف خاطبته وقد أهدى إليّ سلة من التمر الفاخر المعروف بالمجهول من غلة نخيله بتافيلالت في شهر رمضان بهذه القطعة :

زينتَ مائدة الفطور بتحفة ... مجهولها أضحى من المعلوم
أكرِمْ بمهديها وما يهدى له ... من الإعتصام بسنّة المعصوم
حببتها للناس حتى أنهم ... يأتونه بشهية المنهوم

والتورية كما لا يخفى بسنة الإفطار على التمر، ولما وصلته هذه الأبيات، قال حفظه الله : إن هذا طراز أندلسي لا أحسن الإتيان بمثله، وهو تواضع منه.

وكان قد أنشأ بتطوان مجلة لسان الدين وأصدر منها سنة وعددين من السنة الثانية ثم سافر إلى المشرق في رحلته الثانية وعهد إليّ بها وذلك عام 1367 فاكتفيت بالإشراف على تحريرها وأما أمر الإدارة فكان في يد الأستاذ السيد مصطفى الشعشوع، ثم صار إلى الأستاذ المرحوم محمد بن فريحة وكتب إلى الأستاذ الشعشوع بهذه الأبيات :

ألا أيها الشعشوع كيف هجرتني ... ومنذ زمانٍ ما رددتَ جوابيا
ألم تكُ تلميذي ومن أهل صُحبتي ؟ ... وما كنت فيما تظهر العين جافيا
وقد كنت تُرضيني لدُنْ كنت حاضرا ... فماذا عدا مما بدَا في غيابيا
عهدتك من داء التوهُّك سالما ... ومن داء نوم قد فشا في بلادنا
جعلتك عني في المجلة نائبا ... تسير بها سيري وتدعو دُعائيا
فكن مستعينا بالهُداة أولي النُّها ... ولا مثل كنون إماماً وهاديا
فتًى زانهُ الرحمان بالعلم والتُّقى ... وصيَّره في العزم فردا يمانيا
وما زال بيت الشيخ كنون مطلعا ... شموسا وأقمارا تُنير الدياجيا
بهم يستضيء الغربُ في كل حالكٍ ... من الأمر قد أعيا الطبيب المداويا
وحسبُك عبدَ الله إن كنت طالبا ... دليــلا تراهُ في زمانك باديا
لعمري لعبد الله سيد قُطره ... فَلاَ زال في أسمى المعارج راقيا

وقرظت مختصره العقائدي الذي بناه على مذهب السلف وسماه مختصر هدى الخليل بهذه الرّجزية :

مـخـتـصـرٌ ناهيك من دليل — لمـبـتـغي عـبـادة الجليل
على هدًى من شـرعـة الرسـول — في غـاية البـيـان والتـحـصـيل
أحـسـنُ مـا ياتيك من خليل — لأنـه مـن سـنـة الـخـلـيـل
ليس به ضـربٌ من التـضليل — ولا تـحـكـم عـلـى الأصـول
بمـحض قـالٍ باطل أو قـيل — أكـرم بمـخـتـصـره النبـيل
دكـتـورنا المـجـدد الأصـيلَ — وفـخـر أهـل العلم في ذا الجِـيلِ

عبد الوهاب بن منصور[25]

ممن نبغ وبهَرْ، وظهر واشتهر على حداثة السن وفتاء العمر، عرفته منذ أيام طلبه وعاشرته من قريب وبعيد، فكان مثال الصفاء والوفاء، هو الآن مؤرخ الدولة ومدير دار الوثائق الملكية. وخاطبني في إحدى زياراته لطنجة بقصيدة مدح فيها مدينة الزقاق على وزان قصيدة ابن المرحّل في مدينة سبتة[26] وتخلّص من المدينة إلى الثناء والتنويه بما أملاه عليه ظنه الحسن فيَّ، وقد أجبته عنها بقصيدة من رويّها وبحرها. وكان لهذه القصيدة صدى على الأوساط الأدبية بطنجة إذ ذاك، فنسج على منوالها العلامة الأديب السيد الحاج محمد سكيرج وأتى بقصيدة طويلة في مدح طنجة[27] ثم ابن أخيه الأستاذ عبد الغني سكيرج[28] إذ نظم قصيدة في الموضوع وهذه هي القصيدة الأم للسيد عبد الوهاب بن منصور.

سلام على طنجة المغرب ... ومنظرها الفاتن المُغرب
وفرضتها في متوع الضُّحى ... و"مرشانُها(*)" ساعة المغرب
و"شقّارها(*)" في اصفرار الأصيل ... يُخال به الماء من ذهب
و"مَقراعُها(*)" إن بدا رافلا ... بأثواب سندسه القَشِب
وشاطئها في الهجير إذا ... تمنطق بالخُرَّد العُرُب
توسدن من رمله حببًا ... ولُحْنَ على الموج كالحَبَبِ
و"أكْلا(*)" إذا نمنمت وشْيَها ... يد العارض الهالب الصيِّب
ودَيْرٌ على "الشرف(*)" مُنتصب ... يَحارُ به فكر مرتقب
و"وادي اليهود(*)" و"برج الجنود(*)" ... ومعقلُ "مكادة(*)" الأشيب
وجرف "المنار(*)" و"شرفُ العُقاب"(*) ... وطودٌ تدني من الشهب
وبحر الزُّقاق مديق الرفاق ... رحيق الزُّقاق بمُعْشَوْشِبِ
ودوح "السوانّي(*)" الدَّواني المجاني ... يُزاح بها تعب التعب
عروس المَجاز ومهوى المُجاز ... وصدق المجاز لدى المعجب
بلاد المباهج من قِدم ... وأرض المسرات من حقُب
وربعٌ حبته يد الله بالـ ... ـنضارة والنسم الطيب
وصقع الحبور إذا حله ... كئيب غدا غير مُكتئب

وإن زاره مـرهـق كـرِب   نفى عنه عـادية الكرب
نزلتُ به بعـد طول النوى   فصحتُ من الوَجد : واطربي
رأيت الذي لم يُجل في الحِجى   وشاهدت ما ليس في الحُسب
هواء عليلا وظلا ظليلا   وجوا صقيلا تلاعب بي
وعذبا أرق من الشوق في   ضميري وأحلا من الضرب
ووُرقا على الأيك صادحة   تناغيك باللحن عن كتب
ووردا على كل ذي صُعد   وزهرا على كل ذي صبب
ونورا زهت شامخات النزى   به وكسا الغور في الشعب
ونشرا تعطر منه الفضا   وردَّ صبا الهرم الأشْيب
وصرحا رسا أصله ودنا   به الفرع من مزجى السحب
وثغرا تمدد مثل الهلال   ويفتر عن مبْسِمٍ شنب
تسير زوارقه حالمات   كأن بها نشوة الغرب
وخودا حسانا وقضبا لدانا   زرت في الصرامة بالقضب
وفي كل جنب كناسُ مَها   وفي كل درب دُرى ربْرب
وما شئت من حُجرات الغنا   وما شئت من غرف اللعب
وقوما إلى المجد يستبقون   لا يشتكون من النصب
كرام المحاتد من مازغ   وشم العرانين من يعرب
ونشأً إلى العلم مُبتدرا   طموحا لعالية الرُّتب
يكدُّ لينفع أوطانه   برغم الإذاية والرهب
مآثر ما ذكر الذاكرون   أمثالها خَلَلَ الكثب
وأي بها أحرزت طنجة   لدى السّبق رابحة القُصب
فما للأبلة من نضرة   وما شعب بوان بالمُخْصِبِ

* * * * *

رعى الله بيتا بقبصبتها   على الدين أسس والحُسب
وصانِ به عبده المُرتضى   شريف النخيتة والنسب
سنا آل كنون من رفعوا   مشاعل للهدْي في غيهب
إياسُ الذكاء وكعب الجذاء   وربُّ الحصافة والإرب
إمام القريض بلا فند   وبحر البيان بلا كذب

أتاها ومـــقـــصـــدُه هجـــرة إلـى مـكـة اللـه أو يـثـــــــرب(29)
فـــدق بـهـــا اللـه أوتـاده وشــدّ بـهــا مُـحكم الطنب
وبوّأه الله تلعـــتــــهـــا لانقـــاد شـــبُّـــانِـهـــا النُّجُبِ
فكان كـــمـــا أمّل الراغـــبـــو ن فـــيـــه وأربى على الرغب
وكـــان كـــمـــا طلب الطالبـــو ن منه وأوفـى عـلـى الطـلـب
أقـــام بـهـــا دولة للعلوم وأحـــيى بـهـــا مـــيِّت الأدب
وأنبـــتـــهـــا منبـــتـــا حـــسنا ولـم تـنـج - لـولاه - من جـــدب
وشـــاد لفـــتـيـتـهـا مـعـهـدا(30) بـه تـردُ العـلـم مـن ســـــرب
وأسس للنُّشء مـــدرســـة(31) وكـــان من الجـهل في سبْـسب
وأظهـــر للشـــرق من غـــربه "تبـــوغـــه في الأدب العـــربي"(32)
وفي "ذكـــريات مـــشـــاهـيـره"(33) أتى بالعُـجـــاب وبالعـــجب
وفي "مــدخل" نحــو "تاريخه"(34) أويْنا إلى كنف مُـــخـــضب
وفي "أمـــراء" لنا "شـــعـــراء"(35) شِـمـنـا لـه بارق الـغـلـب
وفي طاقـــة من "تعـــاشـــيـبه"(36) شـــمـمـنـا شـذا روضـه المُعشب
وفـي "واحـــة الفكر" من فكره(37) منائح مـــعـــســـولة الحلب
و"قـــدوته"(38) وجـــد الناشـــئـو ن درســـهـــا غـــاية الأرب
ولابن الشـــمـــقـــمق وفّى بشـــر حـــه(39) وابن زاكـــور بالنخب(40)
ومـــدد مـــقـــصـــورة للمـاكـــو(41) دي في مــدح طه الرســول النبي
وحادى السُّـهـى(42) بالمـحـادي(43)وبالـــ ـمـجلة(44) دل عــلـى لـبـــب
وأخـزت "فـضـيـحـتُة"(45) للمُبـــ ـشـــرين أولي الشِّـرك والصلب
وجـلـــت ثـــواقـــب أنـــواره(46) حناديس تفـــضـي إلى العطب
وسل على قـــاتل شـــعـــبـــه يراعـــا حكى شـوْلة العـــقـــرب
ودلّ على حلقـــات النجـــا ة بالشـــعـــر والنثـــر والخطب
فـــلا زال في الرأس من قـــومـــه وعـــاش المكاشح في الذنب

* * * * *

بـــلادي أنـــاخ بـــكـــلـــكـــلـــه عليك زمـــان يُشـــيب الصَّـــبي
أرى لك فـــيـــمـــا أرى نسـبـــة إلى اسـمـك مـــوصـــولة السـبـب
فـــفـــيك الغـــرائب مملوءة دلاها إلى عـــقـــد الكُرب

وفـيك العـجـائب حـاشـدة		جـحـافل تخطر في أهب
وفـيك النقـائض تنسلي من		ذرى حـدير وذرى حـدب
يُسـامُ بك الخَـسفَ كل نبيـه		ويُكرم فـيك البليـد الغبي
ويا وطني داق فـيك المـجـال		على كل حـرٍ غـيـور أبي
تضـيق من الظلم أنفـاسـه		ويدعـو من الغـشم واحـربي
يسـيـر الهُـوينا على رِسلِه		يُحـاذر كـالمـجـرم المـذنب
عليـه زبانيـة يرقـبـون		أرصـدهم قـاطعـوا الرُّقَب
ويأوي إلى الدار مـمـتَـقـعـا		يـزمـل مـن شـدة الـرعب
يُؤمِّل في فـرشـه راحـة		فلَيُلْفـيـه كـالشـوك والظرب
ويلتـمس النوم مُلتـهـفـا		فـيُـمـعن في الصدِّ والهـرب
يذود الكرى عن مـحـاجـره		مـخـايل تلفع كـاللهب
يرى أمَّـةً نكَبَـتْـهـا السِّنون		وأخْنت عليـهـا يد النوب
وشـعـبـا أتتـه بنات الخُطوب		تُمَلِّعُ بالشـر كـالنُّعُب
وسل عليـه العـدا صـارمـا		إذا حُطَّ لم ينُب عن مـضـرب
ودهرا به غـادرا مـاكـرا		يُخـاتل كـالصلِّ والثـعلب
أخـا حـيل حُـوَّلا قُلبـا		عـذيرك من حـولٍ قُلبِ

* * * * *

إليك أخي سُـقـتُـهـا برْزةً		من اللائي خـذرن في الحُـجب
وجليـتـهـا دُرَّة ألْقت		من الشـعـر بالثـقب لم تعب
مُـبـرَّأة من عـيـوب القـريض		مُـحكمـة الوزن والسـبب
كنيتُ بهـا عن مكانك في		فـؤادي ومـوضـعك الأقـرب
وشـعـري خـيـر رسـول أتا		ك يُنبئ بالصـدق عن مـذهبي
وشـعري شعر المُقلِّ المجيـ		ـد لا يقـرع النبع بالغـرب
ولو شـئتُ أن أمـزُج الغثَّ بالـ		ـسـمـين لفـقتُ بلا ريب
وطلت المـبَـرَّز من كنـدة(47)		وزين الشـبـاب فـتى حلب(48)
ولو شـئتُ فـخـرا بآلي لمـا		شـآني المـفـاخـر من تغلب(49)
فـأمي لصنهـاجـةٍ تعـتـزي		وللـحـسنين مـتـاتُ أبي
وقد جمعت أسرتي بين خصـ		ـلتـين همـا زُبدة القُـرب

جـهـاد الفـرنسيس حـين أتوا يجـورون بالعـسكر اللجُب
وهجـرتنا عندمـا غلبـوا مـضـحـين بالذخـر والنشب
فـدونكهـا من أخٍ مُـخلص يبـادلك العطف بالحـدب

وهذه هي القصيدة التي أجبته بها :

شـعـورك أذكى من اللهب وشـعـرك أندى من الحـبب
ومـا تفـعلُ الخـمـرُ باللُّب مـا رأيتُ كـلامك يفـعل بي
ولا وصف الواصـفـون البـلاد كـوصـفك في غـابر الحـقُب
فطنجـة تزهو على سـبـتـة بمـا قـضت في ثغـرها الأشنب
وطنجـة إن فـاتـهـا مُـالك(50) فـقـد ظفـرت بالفـتى اليـعـرُب
لعَـرَّفْـتَنَا من مـحـاسنهـا بمـا لم يكن قطٌّ في الحَـسُب
وذكَّـرتنا من مـعـاهدها بمـا نحن عنه من الغُـيُّب
كـأنك لا نحنُ قـاطنُهـا وقـاطنُهـا كل مُـغـتـرب
فـمـا أهل مكة أدْرَى بهـا كـمـا زعم المـثل العـربي
بلى أنت منهـا ومن أهلهـا فليس المـواطن بالأجنبي
ألست ابن بجـدتهـا إذ حَلَلْت بين رباهـا حلول الحَـبي
وقُـمتَ بجـامـعـهـا مُـرشـدا(51) مُنيـرا لهـا سُـبل الطلب
ولم تألُ نُصـحـا لسكانهـا بقـول الكتـاب وقـول النبي
فـمـا منهمُ غـيـر مُسـتـمع ومـا منهمُ غـيـر مُـقـتـرب
وكـانت مـظاهـرة لم تكن لغـيـرك فـيـهـا من النُّجَب
وكـانت جـوابا لمُـؤتفك يصـدُّ عن الحق بالكذب
ودالت بهـا دولة للنفـاق كـانت مـوثقـة الطنب
وآوت إلى أمـهـا سـقـرٍ علـى رغـم أنـف أبـي لـهـب

* * * * *

لك الله من سـيِّـد أيِّد قـؤولٍ فـعـول غـيـور أبي
أتُـردى علـى وطـن ضـائع ويـنكـرُ ذلـك كـل غـبـي
وتزهـد في كل مـا عـمـل حـريصـا على خـدمـة العـرب

وتعـرض في عنفـوان الشـبـاب عن اللهـــو واللغـــو واللعب
وتُقبل في قـوة واجـتـهـاد على العِلم والعـــمل الطيب
وتغـدو مـثـالا لمـا يَغْـتلي شـبـاب مـحـمـد من رتب
ولا يطبّى ذاك كل فـتـى تعـبـده الطمع الأشـعـبي
ومن صـار ليس له همّـة سـوى النيل من كل ذي منصب
من كل من لم يُجـارهم علـى خُـطـة السـبٍّ والـثـلـب
ومن لم يُطأطئُ لهم هامـةً ترفُّعُ عن كل مُـغـتـصب
عـذيريَ من فـئـة تبـتـغي مـفـاخـرة الرأس بالذنب
ومن جـهلت نفـسُـه قـدره أتى فـيـه قـول أبي الطيب(52)
أخي وعـمـادي الذي أنتـخي به واصـلا دائمـا سـبـبي
لئن كُنت قـرّطتني فـأنا أحـقُّك حنبليٌّ المـذهب
وطنجـة إمـا تُجِدْ مـدحـها فـفـيـها مُـقـامُك كـالكوكب
وإني لأهدي إليكَ سـلامـا كـخُلقك في ورده الأعـذب
وأعـجب مـمّـا تناهى إليـه نُبـوغُك في العلم والأدب

وكنا في سمر ذات ليلة فرأيت النوم يداعب أجفانه فنبهته فقال :

وسيّدٍ قـد رأى عيني مُـغـمّـضـةً فـخـال أن الكرى من مقلتي يردُ
وقد قال : هل كنت في نوم ؟ فقلت أيرقُد الصبُّ أو يغفـوا الذي يجد
أغـمـضتُ طرْفي إجـلالا وتكرُمـةً تفـديك نفـسي وحـرٌّ المـال والولد
وكنت بالفكر يقظانا أنارُ بمـا يُلقيه مصباحك الأسمى الذي يقدُ

الدكتور زكي المحاسني(53)

من ألمع أدباء سوريا وشعرائها وباحثيها المؤلفين المكثرين، عرفته وتوثّقت الصلة بيني وبينه على البعد، ثم لقيته في دمشق لما عرجت عليها بعد العودة من حجتي الأولى فرأيتُ منه ترحيبا جما وإكراما فائقا وكان مما خاطبني به في إحدى رسائله هذه الأبيات :

تحياتُ الحبيب وإن تباعدْ ... تجيئُكَ والفؤاد بها تصاعدْ
أيا كنون والمكنون وَجْدٌ ... أراه على مدى بُعدي تزايدْ
وجدتُك منحة الدنيا فدَعْني ... أنَلْ قُرباك في حظٍّ توافد
لأنت الشمس تُشرق من غروب ... على إشعاعها قلبي توارد
بنيت لقومك العالين مَجْداً ... ومثلك من لِداعي المجد جاهدْ

وكان في رسالة له سابقة شكى إليّ من ظُلم الزمن وتجاوز من هو دونه له، فأجبته بما يسليه، وأنشدته أبياتا في هذا المعنى تُنسب إلى الإمام مالك وهي :

إذا رفع الزمان عليك شخصا ... وكنتَ أحق منه ولو تصاعد
أنله حق رُتبته تجده ... يُنيلُك إ ن دنوت وإن تباعد
ولا تقل الذي تدريه فيه ... تكن ممن عن السُّؤْى تقاعد
فكم في العُرس أبهى من عروسٍ ... ولكن للعروس الدهر ساعد

فوقعت منه أحسن موقع وكتب إليّ بالأبيات أعلاه على وزانها فأجبته بقولي :

[illegible]

صورة لرسالة الدكتور زكي المحاسني بخط يده

صـــديق في مكانتــه قــريب ... ولكن المكان به تبـــاعـــدْ
زكِـيٌ الـنـفـس ذو خـلـق رضـي ... فـبِـمـا قـد تواضع قـد تصـاعـدْ
مـــحـــاسنه على الأيام تُتلى ... وكم مــمن بهـا قـدْمـاً تواجـدْ
بنى فـيـهـا على حسبٍ عـريق ... ولم يكُ عن مـداركـهـا تقـاعـدْ

وأشرت في البيت الأخير إلى سلفه المذكور في نفح الطيب من لقيّهم مُؤلفه الحافظ المقرء في دمشق(54).

وكتب إليّ في رسالة أخرى بهذه القطعة الشعرية :

سقى الله عهدا بات ندمانُ قاطعه ... تُسـائله الأفـلاك أين مطالعـهْ
وصلنا به شطَّ المـغـارب فـارتمت ... على بردَى حتى استطابت مشارعه
وحـين ألمت بابن كنون ألفـة ... على جِلَّقٍ حيِّ الربيع مـرابعـه
فيـا زهرةَ مـراكش زهْو كـأسـهـا ... ولكنْ شذاها في المشارف ساطعة
كـأن نسيم الصبح يأتي بطيبـهـا ... فمن بعدها صدري تضيق مجامعُه
فـقل لابن تاويـ(*)ـت أنِلنيَ حُـسـوة ... فـيكفـيك دنٌّ يبـذُلُ الروح طامـعـة

فأجبته عنها بهذه الأبيات :

لئن سلُوٌّ الخلٌ مـمـا يُطاوعـه ... فلم يفـتـأ الوُدٌّ القـديم ينازعـه
ومال عن الذكرى زماناً فما ائتَلَتْ ... تُناشـده العـهـدَ الذي هو قـاطعُه
فـلا يسـتـهن بالودٍّ من علَقت به ... ورفَّت عليـه روحـه وأضـالعـه
فـإن مـودات الرجـال دخـيـرة ... نعِيٌ إليـهـا من مـشـارعـه
إليك أبا ذكـوان مني تحـيـة ... كـأن شـداها من خـلالك سـاطعـة
وعندي هُيـام ليس يخـبـو أوارُه ... بإنتـاجك السـهل المـمتَّع بارِعَـهْ
فـصلني ولا تقطع واصـر بيننا ... يبـاركـهـا من شـعـرك الحـر رائعـهْ

(*) - يعني الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي وكان زميله في الدراسة بالقاهرة.

دمشق في ٢٧/ ١٠/ ١٩٥٧

علامة المغرب الشاعر الكاتب الجليل عبد الله كنون دام عزه

عزيزي المفدى

أخذت اليوم رسالتك المباركة وتلوتها بهزة وشوق، وجعلتها نبراسي ومنهجي لما تضمنت من جليل القول وكبير الموعظة والسداد. وقد حام في خاطري الشعر فرحت أقول فيك:

تَحيّاتُ الحبيبِ وإنْ تَباعَدْ ... تَجيؤكَ والفؤادُ بها تصاعدْ

أبا كنّونَ، والمكنونُ وحيٌ ... أراهُ على مدى بُعدٍ [illegible]

وجدتُكَ مِنحةَ الدنيا فدعني ... أنلْ قُرباكَ في خطٍّ [illegible]

رأيتُ الشمسَ تُشرقُ من غروبٍ ... على إشعاعِها قلبي تَوارَدْ

بَنيتَ لقومكَ العالينَ مجداً ... وحسبُكَ مَنْ لداعي المجدِ جاهدْ

ولعل رنة الشعر التي ألهمت من قال: وكم في الدرس أبهى من عروس ... ولكن للدروس الدهر ساعة، هي التي ألهمتني.

أيها الروح الأجل. ما كنت عهدت ما ينبغي أن تؤخر الكتابة إلي فالكتابة أجر دون ما في القلب من ذكرى وأشواق. ولئن أسعف الدهر بتحقيق اللقيا المتخطفة، فلعله يسعف يوماً بمزيد. وقد ملأ قلبي حبوراً أنك أطلعت صاحب الجلالة عظيم المغرب ومليكها أعز الله نصره وبسط سلطانه ومكن أركانه على قصيدتي فيه يوم قلتها في [illegible] وسوف إن أسعف الدهر أصوغ فيه وفي بلاده الشريفة غرائر لا يمحوها الزمن.

فخذ تحياتي عابقة بعطر الشام، منسابة على آفاقه [illegible] تطل على البحرين، وترف بجناحيه من شوق وتعظيم، وإجلال وتكريم لشخصك العظيم. ومن السيدة [illegible] ولأسرة بيتك المكرمة كل سلام وإكرام. وأولادي يقبلون يدكم ويدها، وأنا أرجو الله دوام أجر الوداد.

أخوك

زكي المحاسني

صورة للأبيات التي رد بها الشاعر على رسالة الدكتور زكي المحاسني

وكتب إليّ يُعزيني في وفاة الوالدة رحمة الله عليها ورثاها بهذه القصيدة

يا أمَّ ربِّ الحِـــجي يا أم كنون ... عـــامٌ مــضى بك في بينٍ وتأبين
ما غبت عن عالم فيه الذي نجلت ... يداك ملء الدُّنى في عزٍّ الميامين
علامة المغرب الأعلى قرينُ نُهى ... يسري به الحمد في مجد وتمكين
كانت لِلُقياه بالضفَّات من بَرَدي ... ذكرى تألَّقُ في نشر البساتين
أمي إلى برزْخ الأوراح سابقة ... تهيج شجوى بها آلام محزون
فـــقـــداً لأمٍّ بدهر راح يُزعجنا ... بِظُلْمـــه في تصـــانيف وتلوين
حبًا محضنتُك عبد الله من قِدم ... ففيم تنسى حبيبا ذا تحاسين
روحي تَطيف بناديكَ الذي طلعت ... فيه العباقير موصولا بتقنين
فكنت فيهم أديبا شاعرا ولهم ... حـــفـــاوة بنقـــيب الفكر والدين
عليك مني سلام كالربيع هفا ... في الشرق والغرب في نفح الرياحين

وطلب إليّ نشرها بمجلة دعوة الحق أو غيرها من الصحف، ولكني رأيت نشرها من طرفي تبجُّحًا، بل إني لم أنشر رثائي لها وليس فيه من التمدّح شيء. وكنت ألاحظ عليه ما يُغدقُه عليّ من أوصاف وأقول له إنك لم ترَ المغرب ولم تر رجاله، وإلا لرأيتني شخصا عاديا فيهم فيزيد في مبالغاته أكثر من ذي قبل، حتى اضطررت مرة وقد نشر عني مقالة في مجلة دعوة الحق(55) إلى أن أعقّب عليها بكلمة اعتذار إلى القراء، أتبرأ فيها من أن أكون موافقا على تلك التحليات أو مُقتنعا بها. ومن ذلك هذان البيتان من رسالة له :

لئن طلَعت شمس الكواكب في الشرق ... فشمسُك في الآداب تطلع في الغرب
كذا زيَّن الانسان في الكون صنعه ... فيا باقع التأليف والفكر في العُرب

وقد أجبته عن قوله هذا بتضمينه في نظم حرصت على أن أرد مدحه إليه وأجعل ما فيه من الكفِّ من غير تصريع متجاوزا فقلت :

يقول صديقي مُحرزُ الخصل في السَّبق — وناسجَ بُرد النُّظم والنثـر بالذوق
(لئن طلعت شمس الكواكب في الشرق — فشمسك في الآداب تطلع في الغرب)
فقلت وقصري أن أساجل وضعه — وأنشد فيه ما يُماثل طبعه
(كذا زين الانسان في الكون صنعه — فيا باقع التأليف والفكر في العُرب)

ووجه إلي كم من تحية في مجلة "الأديب" البيروتية، وكنت أفاجأ بها حين أطلعُ عليها، وتحدث عني أكثر من مرة في إذاعة لندن ببريطانيا، وبلغ به الاهتمام إلى أن بعث إليّ برقية يُعلمني فيها بالوقت الذي سيُذيع عني حديثا بالإذاعة المذكورة.

ومن مودته وحُسن معاملته أنه بعث إلى زوجتي بمجموعة من تآليف السيدة حرمُه هدية، وهي الكاتبة الأديبة الشهيرة "وداد سكاكيني"، وبعث إليّ بصورة بنتيه "ذكاء" و"سماء" حين تخرجتا من كلية الآداب بمصر في علم المكتبات والوثائق مع تحياتهما وتحيات ولده الأستاذ ذكوان، وأعلمني أن قصيدتي "في المكتبة" قد كتبتاها وجعلتاها في إطار معلق في مكتبهما.

ورسائله إلي كثيرة وفيها أخباره وما تولاه من وظائف في مصر وسوريا ولا سيما أيام الوحدة، وقد أثبت بعضها في مجموعة الرسائل التي وصلتني من أصدقائي في مختلف البلاد العربية والإسلامية، وبالجملة فقد كنا كأسرة واحدة رحمه الله رحمة واسعة.

وأخيرا فقد كان أخبرني أنه ينظم قصيدة في مدح جلالة الملك وأخرى في مدح المغرب ومطلعها حسب ما ذكر لي :

قرَّ شعري على شطوط المغارب — إن لي في ربوعها خيرَ صاحب

ولكنه لم يوافني بها.

محمد بن موسى(56)

الأديب الكبير الوزير الأشير السيد محمد بن عبد القادر بن موسى المراكشي الأصل الجعفري النجار كما كان يكتب ذلك أحيانا في بعض توقيعاته المُغفلة، كان من أعلام الأدب المتمكنين في الصناعتين. ولعله آخر من كتب النثر الفني البديع على طريقة كبار الكتاب الأندلسيين، ونظم الشعر الرّصين المُثقل بالمحسنات اللفظية التي لا تكلف فيها ولا تصنُّع. كان والده أثيرا لدى الملك الحسن الأول، ودرس بمراكش وفاس وفهمت من بعض أحاديثه أنه درس على الجد السيد التهامي(57) وعلى العلامة السيد محمد -فتحا - القادري(58). وكان لا يحب أن يتحدث عن نفسه ولا يجيب عن سؤال يتعلق ببدايته ودراسته، تواضعا منه وإسقاطا للدعوى، وأول ما سمعت به، من الشاعر المطبوع السيد عبد الله القباج(59) وكان رآه هو لأول مرة بالعرائش حين كان أمينا بمرساها، وخاطب القباج بقصيدة رائعة أنشدنا إياها القباج في زيارته لطنجة بعد زيارة العرائش وقال إنه عجز عن إجابته عليها. وبعد ذلك توثقت عُرى الصداقة والتقدير بيني وبينه حين تولى وزارة الأوقاف في حكومة سُمو الخليفة مولاي الحسن بن المهدي بتطوان. وقد خاطبني بهذه القصيدة العصماء إثر إبلالي من المرض الذي لزمت فيه الفراش مدة شهرين من عام 1369 قال حفظه الله(60) :

هوِّن عليك فلطف الله فيك خفي ... وصُنعه لك باد غير مُنصرف
لَمّا تزل في رعيل من عنايته ... مستحصد ومن التوفيق في كنف
تحنو عليك يدٌ من فيض أنعُمه ... أنّى اتجهت فلا تحزن ولا تخف
واسلم بأنعَم بال تستطيب به ... برد الرضى ومزاج غير مُنحرف
لم يسمَحِ البُرءُ مُختالا مشاعره ... إلا لما شام من فضل ومن شرف
يا من إذا صاح داعيه به سفرت ... غُرُّ المناقب بعد الياء والألف
فما يُحاول إفصاحا برائعة ... إلا تحيَّر بين البكر والنصف
لم يغْبَرُ ذاتك مكروه تنوء به ... كلا ولا ما يروع القلب بالأسف
لكن دهرَك لاه في سفاسفه ... عما تحبَّر من وشْيٍ ومن طرف

ومن عـقـود يلوح التِّبـر من سـقط في جنبـهـا وشـذور الدُّر من خـزف
فصُمتُ كيما يرى من كان ذا بصر مسافـة الخُلف بين التـمـر والحـشف
حتى إذا لُحتَ لاح الفضلُ ملتحفا روح النُّهى في رُواء غـيـر مُلتـحف
وليس يلحقُ نور البـدر من وهن وإن سرى البدر وهْنًا سيرَ مُنكسف
فانهض وشيكا وقاك الله من وصب تعـفـو به خـرزات الدوِّ في الصـدف
وصِل براحك أقلامـا مـتى نهلت لم يصحُ من سكره من جال في الصحف
يهفو إلى الرقص إن غنت فإن نسقت دُرَّ الثـغـور صبـا شوقـا إلى الرشف
من صـادع جنبات الشك من فلق وقـادح لمحات البـرق من سـدف
كأنها القضب في يُمنى أبي حسن والسَّمـهـريَّة في كـفي أبي دلف
نافحٍ بهـا عن بلاد طالما سـقطت أخـلاقُـهـا بعـوادي الجـهل والجنف
تنكرت لأواليـهـا فـديْدنُهـا - وقـد رأيت - عـقـوق الخلف للسلف
أزْروابهم وتناسـوْهـم ولم يزلوا حـقـا لهم فـعـذير القـوم من خلف
فغرت غيرة ندب عن محاسنهم من أن تشـوّه بعـزم الناقـد الحـصِف
نشرت منهم لفيفا ضـاع نشرهم لو لم تذعه فما استعدى على التّلف
وفي الكواكب من أعـلامـهم هدفٌ وشأنُ قـارة وضع النصل في الهـ(*)دف
تمم صنيعك وابحث في معادنهم بحث النطاسي في الاثار وانتـقف
واجمع بدائع ما شدُوا وما عقدوا من الطرائف والأعـلاق والتـحف
وضع بلبـة قُطر زِنْتَ سُمـعـتـه أطواق منتـصف بالصـدق متـصف
تدني الملاحة منها سمع مُغترم ويفتحُ الحسن فيها طرِف مُغترف
أعـاد فـضلك عـبـد الله مـانحـه من لَمّة السوء أوْ من لمحـة الدنف
ودُمت تحـدو يراعـا كلمـا هتـفت ورقـاؤه كـشـفت عن روضـة أُنُف

وقد حاولت إجابته عن هذه القصيدة وأنا بحمة غرناطة(61) طلبا للإستشفاء بمياهها المعدنية، أرسلني إليها بإلحاح سُمو الخليفة المعظم بعدما ذكر لي من تأثيرها العجيب في علاج داء الروماتيزم، ولما كنت عليه من انحراف صحة وانشغال بال،

(*) - القارة : قوم من العرب مشهورين بجودة الرّمي ويقول المثل العربي (أنصف القارة من رماها)

فإني لم أستطع إتمام ما بدأت به من الجواب ولم أخجل أن أعترف بعجزي عن مجاراته في نفسه العالي كما اعترف بذلك الشاعر المطبوع عبد الله القباج.

وزارني بعد تولي عمالة طنجة في فجر الاستقلال، فاتصل هاتفيا بديوان العمالة فأجابته كاتبة اسبانية بأن العامل مشغول في اجتماع مع رؤساء المصالح ولم تعرفه، فأنفذ إلي بطاقة بخطه الجميل تحتوي على هذه الأبيات البليغة :

يا باذل التالد والطارف ... من علمه وظلّه الوارف
وكعبة الفضل التي لم تزل ... أمنيّة البادي مع العاكف
ومن تبارى في هوى حمده ... رغما عن الكاشح والكاتف
ما يملأ الأسماع من هاتف ... ويجذب الأبصار من راعف
يقول من يرقب إجماعها ... ما أشبه الجاهل بالعارف
حجِجْتُ بل طُفت حوالي الحِمى ... ومِلتُ للتّعريف بالهاتف
حتى إذا الحاجبُ لم يَكترث ... عُدت ببال آسف كاسف
حاشاك أن أرجع دون اللقا ... يومي رجوع الدِّرهم الزائف

رجب 1376 – 4 فبراير 1957
محمد بن موسى

فبادَرتُه بالجواب الآتي :

حاشاك أن تُحجبَ من عارف ... بفضلك التالد والطارف
وبمعاليك التي لم تكن ... وصفا مضى مع مظهر زائف
وبخلالٍ لك ساميّة ... طالت على القائف والقارف
وبيان أعجزت آياتُه ... مقدرة الحاكي بل الواصف
حلفت إنك ابن بجدتِه ... ولم يكن مثلي بالحالف
لستُ من الحجاب يا سيدي ... في سالف الأمور ولا خالف
إني امرؤٌ أحجبُ زَوري ولا ... احجب زَورى خيفة الطائف

اعتقد الفضل لمن زارني — وأنتمي لمذهب الآلف
فكيف أصرفُ صديقا وفَى — والصرف في ذلك للصارف
إن الذي ناديتَ ظبيٌ نأى — شأن الظِّبَا النأي من الهاتف
لو أبصرت عيناك طلعتَه — ما أُبتُ بالآسي ولا الاسف
ليس له عندي ذنبٌ سوى — ردِّك وهو ليس بالعارف
فاصفح - بلا موْجدة عنه بل — عني وأمِّن روعة الخائف

وبعد ذلك جاءتني منه هذه الرسالة :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

حضرة صاحب السعادة عامل اقليم طنجة، وعالِمه وناسخ بُرد مفاخره وراقمه، الصديق الحميم الفقيه العلامة الكريم سيدي عبدَ الله كنون حفظكم الله وسلام عليكم ورحمة الله.

بعد تلك السُوَيعات التي قلَّ أن يجود الزمان بمثلها والتي تركت في نفسي من الأثر الطيب ما لا أحسن التعبير عنه بحال، غير أني أرجو الله أن يجعلها فاتحة سلسلة لا تنقطع من أخواتها اللواتي يسكن إليها البال وتطيب بها النفس وينشرح الصدر وما ذلك على الله بعزيز. فكرت في الأبيات التي ءانست منكم ولكم الحق استثقالا لما ورد فيها من ذكر الحاجب والحجاب، الأمر الذي يأباه لكم شرف العنصر وكرم الأخلاق والتجافي عن المظاهر الزائفة التي نزَّهكم الله عنها وطهر ساحتكم الكريمة منها، ومع ذلك فقد كان بآخر الأبيات اقتضاب بيِّنٌ في التعبير ألجأ إليه جمود القريحة وضيق الوقت ساعة الخروج من تطوان فظهر لي أن أسوِّي ذلك بما يبلغ إليه الطَّوق ويتسع له الإمكان، وبذلك جاءت القطعة على الصورة التي تقفون عليها أسفل هذا، وعساها أن تحل من نظركم الكريم محل القبول، وها هي تتقدم إليكم على استحياء :

يا بادل التالد والطارف — من علمه وظلِّه الوارف
وكعبة الفضل التي لم تزل — أمنيَّةَ البادي مع العاكف
ومن تبارى في هوى حمده — رغما عن الكاشح والكاتف

مـــا يملأ الأســـمــــاع من هاتف
ويجـــذب الأبصـــار من راعف

يقــول من يرقب إجـمـــاعــهـــا
مـــا أشـبــه الجـــاهل بالعـــارف

أوقـــفْ مـــن لـــبُّـــى عــلـــى وُدِّه
عين الصــــفـــــا والملك للواقف

لما تنــاءى الحيُّ عن حـــيـــه
وامـــتـــدت الشـــقـــة بالواجف

طِرتُ إلى أرجـــائه جـــادفـــا
وكـــيـف حــــال الطائر الجـــادف

فَـزُرتُ يوم السـبت مُـسْـتَـدْفـئـا
من وحـشـتي بأُنسه الصـائف

وطُفت حـول البيت سـبـعـا عـسى
أن يـعـطـف الحظ إلى الطـائـف

فــحـجب الغـيم سنا شـمـسـه
وليس دون الله من كـــاشـف

جـهلت من قـصـدي مـيـاسـره
فـــملتُ للتـــعـــريف بالهـــاتف

حـتى إذا الأقـدار لم تسـتـجب
أبتُ ببـــال الآسف الكاسف

فـمـــا يرى جـامع شـمل الوفـا
إذ لا يــفـــي إلـــفٌ إلـــى آلــفِ

هل يومنا الحـاضـر مُسـتـبـشـرٌ
أو اقـتـدى الحـاضـر بالسـالف

حـــاشـــاه أن أرجع دون اللقـــا
يومي رجـــوع الدرهم الزائف

محـمـد بـن مـوسـى

ولِد رحمه الله عام 1301 وكان له أخوان : أحمد وكانت ولادته عام 1303 ومحمد - فتحا - وكانت ولادته عام 1305، وأعرفه إذ كان يعمل كاتبا في الديوان الخليفي بتطوان وعنه قيّدتُ هذه التواريخ.

ومـن شعـر والـد بـن موسـى الفقيه السيـد عبـد القادر فـي السلطان مولاي عبد الحفيظ :

أبَدْرَ التمِّ يا ســمح الخليــقــة
ويا فـــردَ الجـــلالة والخليـــقـــة

أتتـنـي بدرَة الإكــــرام منكم
فـأرْوَت ظامـئـا وأسـاغت ريقـه

حـبـاك الله إحـســانا وفـضـلا
وعلما بالشـريعـة والحـقـيـقـة

[illegible]

صورة للأبيات التي بعث بها الأديب محمد بن موسى للشاعر عبد الله كنون بخط يده

محمد أسكيرج(62)

الفقيه الأديب المؤرخ الفاسي أصلا الطنجي قرارا، أول ما اتصلت به عن طريق الصحافة، حين نشر لغزا فكنتُ ممن أجابه عنه تعبيرا عن براعتي الأدبية، وهذا نص اللغز :

خبِّرونا أهل الحجا ما اسم عين　　　أمرُه مُشكل أبان حُروفا
هو حرف وذاك لفظ ومعنى　　　إنما إن نطقتَ كان حُروفا

ونص الجواب :

دونك الحل يأديبا منيفا　　　لا عَدِمناك مُلغِزا غطريفا
هو خَلقٌ بهيج من صوت حادٍ　　　شأن ذي الحال أن يكون ظريفا
لا تكن مُعجبا من الحرف يصغى　　　لغناء ويقبل التصريفا
فلقد تُقلب الحقائق حقا　　　إن شم الذرى تصير حروفا

وكنت حينئذ في سن الطلب وبيني وبينه أكثر من ثلاثين عاما، ثم تقدمت الحال، وأنشأنا المعهد الديني بطنجة وتوليت إدارته فاخترته من المدرسين به، وتوطدت بيني وبينه الصلة، وكان مما خاطبني به هذه الأبيات يستهدي مني شرحي على الشمقمقية :

بعد سلام عاطر مُرونق　　　على أديب قُطرنا المحقق
نابغة العلم ونهج نوره　　　ومن عَلَتْ نجدته في الأفق
رجا خليلكم كمال تحف　　　بشرحكم على أبي الشمقمق
به سمعت فشرهت أن أرى　　　وقد كرعت عذبه المروِّقِ(*)

(*) - كذا وردت ولعلها المروقي.

الحمد لله

بعد سلام عاطر مرونق ، على أدب فكرنا المنمق
ما يغتدي العلم وضيء نوركم ، ومن علا نجمه الأفق
رجا خليلكم كمال نجحكم ، بشرحكم على ابن الشمقمق
بد سمعت وشرحت الدري ، ومن كرعت عذبه المروق
اذ كان بعض كتب مجتنى اولنا ، يرى سبيله بلا ملل وملق
وانني أشكر فضل نبلكم ، على الذي سمعته وحاذق
ومع عاملوا لوا نحضنا ، لكم بشر ودمنا ترفق
نعم وعالكم نسأل ذو الجلا ، لكم وجعلوا تزمنوا حرف
وانني أكبر سلمان زمنه ، عن كل ما تعجبوا من خلق

بديع

محمد سكيرج

صورة لأبيات الفقيه محمد سكيرج بخط يده

إن كـان عندكم فـجُبٌ أولنا(63) ... يهـدي سـبيله بصبح فلق
وإنني أشكر فـضل نيلكم ... على الذي سبقه ومـا بقي
ومع حامل لذا تُحفتنا ... لكم "بمُزهر"(64) ودُمت ترتقي
نعم وعاطر ثنائي دائما ... لكم وعجلوا لتزهو حدَقي
وإننا طيرُ سليمان(65) الذي ... عذره لا تعجبوا من قلقي

فأنفذت إليه نُسختين وأجبته بقولي :

يا بحر علمٍ دائم التدفُّق ... إليكم أزكى سلام عَبق
وإنكم طلبتم شرحيَ لما ... نظمه النابغة الشمقمقي
ما ذاك شرح إنما هو لُغى ... فسُترتُها بكَلَامٍ مُلفق
وإنني أنفذته إليكم ... تأدبا لا بغية التمشدق
ومعه جزءا النبوغ المغربي ... في عربيٍّ الأدب المُرونق
هدية إلى الأديب الألمعي ... وإن تشأ قل الأديب الحدقي
فاقبلهما وغُضَّ طرفا عنهما ... إنهما جهد المُقلِّ المُملق
والله يجزيك جزاءً حسنا ... بما وهبت من كتاب مُونق
(المزهر) الجامع أشتات اللُّغى ... فحقة يوضع فوق المفرق

ثم إنه اشتغل بإكمال نظم "الخصائص الكبرى" للحافظ السيوطي الذي كان أخوه العلامة أبو العباس أحمد بدأ نظمه ولم يكمله، فلما أتمه أقام حفلا بالمناسبة ودعاني لحضوره بهذه الأبيات :

أديب دهرنا تميم الدار ... مولاي عبد الله فينا الدَّاري
أستاذنا مؤرخٌ محققٌ ... مؤلف مفوق مدقق
سلالة الفضل وأهل العلم ... ومَنبع المجد وكل قرم
من شرف وترف وحَمْد ... وسيد متصل بسيْد
أعدُّ في خصائص النبيِّ ... حُضوركم لنظمنا الشهيِّ
ختامه سعادة لدينا ... لا سِيَّ حين تحضروا إلينا

يُسـعـدني الحظ إذا حـضـرتم وكـــرمـــا يكون إن مننتم
وهـا أنا أنـتظر الـوُصُـــولا بـعـطفكم بـيـــومنا حلولا
(رابعـة) قُـبَـيْلهـا اجـتـمـاع يا مـالهـا يؤمـهـا انتـفـاع
تاريخـه الـسـابع والعـشـرونا من حـجـة والعـام تعلمـونا
مُنُّوا بـه تفـضُّـلا وعـجلوا وعـام (طع) يقـول فـضـلا جـاملو(66)

فبعثت إليه هذه القطعة جوابا وحضرت في الوقت المعين :

يا عـالم القطر وشـيخ البلد خـالصـتي وعُـمـدتي وسندي
أمـدَّ ربّي فـضلكم بمدد لا ينتـهـي لأمـد أو عـدد
شـرّفـتـموني بحـضـور الموعـد بخـتـمكم خـصـائص الْمُـمَـجَّـد
لبـيكم لبـيكم يا سـيـدي من عـمق قلب مـخلص مـعـتـقـد

ولما توفي الوالد رحمه الله رثاه يوم الثالث في "صباح القبر" بهذه القصيدة التي انقلها من خطه كالقِطع السابقة ولفظه :

الحمد لله رثاء عبيد ربه كاتبه محمد بالحاج العياشي سكيرج كان الله له، لصديقه الحميم العلامة سيدي عبد الصمد بن شيخنا سيدي التهامي جنون المتوفى فجأة بطنجة بعد صلاته العصر من يوم السبت ثاني ذي القعدة الحرام عام ألف وثلاثمائة واثنين وخمسين(67) :

الله حيٌ واحـد فـرد صـمـد كَـتَبَ الفناء على العـبـاد به وعَـدْ
وإليـه مـرجـعُنا فـلا أحـد له أمـــرٌ جـــرى إلا ولله المَرد
سلبَ العـقـول من الفـحـول مـراده مـهما أراد قـضـاءً مـا شـاء انفرد
وإذا أراد قـضـاء أمـر في الورى في الحين دان وكان فيمن قد سجد
يُغـمي على فكر اللبيب إذا جـرت فـيـه المشـيـئة لا مـحـالة لا فند
كم أمـــة أفنى وكم من دولة أقـضى إلى دار بهـا كل خـمـد
وأباد أجـيـالا تقـادم عـهـدُهـا والخلق في سلك على نظم العـدد
فاحـرص على فعل المحامد واتّئد واعـمل لخـاتمة تنل عـيـشـا رغـد

لا يأس من عليا إذا شط النوى ... يا راغبا من جدّ في أمر وجد
وأدم بباب الله جل جلاله ... منك الوقوف تدوم فيمن قد عبد
إن المنى سلمت منّا الجمو ... ع إلى هجوع يا له يا كم حصد !
عجبا لنا مع علمنا بصروفه ... لم نرْعَوي إنا عوارٍ تُسترد
لو عمّر المغرور ألفا بعدها ... ألفٌ لكانت لحظة أبدَ الأبد
لا يسأم المخلوق حق حياته ... لدوام تُلهيه المعايش في كبد
لكنني وأنا الخبير براكنٍ ... لشرابها سيري الذي عنه ابتعد
يا عالما بحُلى المآل وحِليه ... رفقا بحالك واحذُ في حذوٍ سدد
لا تغترر بِبَها الشباب وزهوه ... ولو اعتليت وكنت أنت المعتمد
أو كنت ذا حول وطول في غنى ... أو كنت أعلم من تقدم واجتهد
هذا الكريم الأصل جنون الذي ... طارت مآثره على بُرج الأسد
العالِم العلَم الذي آثاره ... عن كل راوٍ في الحديث لها سندْ
قد كان في أوج السعادة رافلا ... صدرا لأهل العلم شيخا مُعتمَد
بل كان أستاذ الزمان وبدره ... وعليه في أعصى العوائص يُعتمد
أين الدروس وأين معلوماته ... كم كشفُه للمشكلات لها فأد
كم وعظُه القلبيُّ زان محافلا ... ومنازلا فيها الفؤاد به اعتضد
قد كان صوّاما وقوّام الدُّجى ... ولكم هدى قوما إلى سبُل الرشد
لا غرْو في هذا لديه إذا بدا ... فبِسيرِ والده بدا فوْزُ الولد
فأبوه شيخ العلم والفتوى وبحـ ... ـرٌ في العلوم وبالفهوم لها أمد
لكن تراه جدْولا من فيض مَن ... قدم الرُّسوخ على الشيوخ قد استند
طودٌ المفاخر عمّه نجم الهُدى ... ومنار أعلام المآثر والرشد
طود ولكن في المعارف إنما ... إن شئت قلت البحر به استمد
لا ترجُ بُرهانا لذاك وبيننا ... ما دوّنت أقلامه وله احتشد
آه على أهل الفضائل نظّموا ... عقدا تناثر درّه مما وفد
لكن مُصابي بالفقيد تناثرت ... منه مصائب قد أَمَضّت من فقد
فاليوم نبكيه بملء عيوننا ... وجفوننا وقلوبنا لهب الوقد
واليوم تبكيه المساجد والمعا ... هد والمنابر والمحابر ما ورد
يا من يروم مسرّة من دهره ... خُذ قدرها حقا عليك من النكد
فالحُكم حكم الله جل جلاله ... فاهرع إلى التسليم لله الأحد

وتعزَّ في هذا المصاب بفقد ذا الـــ ـــحبر الجليل المُرتضى عبد الصمد
وسلِ الكريم لأنجُم زُهر له أشباله صبرا جميلا في رشد
ولأهله ومُحبِّه ومُريده ولكُلنا مما بقلب قد وقد
فعليه من رضوان مولى راحم رحماته وعلى الجميع إلى الأبد

وبالمناسبة أذكر هنا قصيدة رثيتُ بها الوالد رحمه الله بعد ما كنت رثيته بقصيدة مرموزة، فلم يقتنع بها الأهل والقرابة وقالوا : لا بد من قصيدة صريحة على الطريقة المعهودة، وهي هذه :

هو الموت لا يتحاشى أحد ولا عنه للحي من ملتحد
يُكبُّ المليك على عرشه ويصرعُ وسط العرين الأسد
ويُدلف للطفل في مهده ولا يفلت الشيخ مهما لبد
لمنجله في نفوس الورى حصاد بلا موسم بل أبد
ويخبط خبطا كقول زُهيرٍ فلا عن خطاءٍ ولا عن سدد
يغول صحيحا بلا علة وليس له عنده من قَوَد
ويترك ذا مرض مُزْمِنٍ تسخُّطه أهله والولد
فأين مقال فلاسفة هيو لا تفانت وكونٌ فَسد
تبارك ربي فما ارتضى بغير لقائي له مُعتقد
هو الحكمة الجوهرية في مماتي لأسعد بعد النكد
أبوءُ إليه بما قد جنيت وإن على عهده لم أحد
وأسأله أن يوفقني ويهديني لسبيل الرَّشد
ويمنح أمتنا نهضة تُعيد لها مجدها المفتقَدْ
وتُحيى معالم قد ردست بفقد أساطينها والعُمد
رجال الديانة خير الرجال وأهل الفضيلة قُلَّ العدد
بهم تنجلي سُحُبُ الأزمات ويُفْرَجُ عمن طواه الكمد
ويبدو لنا الدين في مظهر يجلّ ويسمو عن المنتقد
هُمْ حاملوه هم حافظوه هُمْ مُسندوه لخير سند
فيا بارك الله في جمعهم وحاطهم بدوام المدد

وروى ضريح فقيدهم ... سلالة كنون عبد الصمد
نعى من نعاه إمام الحديث ... قياما على متنه والسّند
ومعرفةٌ برواياته ... وحفظا وفهما وأخذا ورد
ومن جمع الفقه ثم الأصول ... وحرّر مُدرِكه واجتهد
وشيخ النحاة الذي قوله ... هوالفصل إما حكى أو نقد
وخير خطيب لهَدْي الرسول ... دعا وله أبدا يُعتمد
ومن نذر النفس للصالحات ... ولم يألُ في سعيه عن أمد
وهاجر موطنه حسبة ... ولم يرض حُكم الغزاة الكند
ومن نشر العلم في كل صُقعٍ ... نحاه وقام على ساق جد
وما عرفت نفسه راحة ... ولا نامَ أكثر مما هجد
ومن لم يبع قطُّ دينا بدُنيا ... ولا خاف في الله لومَ أحد
ولا مدّ طرفا له رُوَيْدا ... لما لا يجوز له أن يُمد
ولا حدّث النفس يوما بسوء ... ولا خاض في باطل أو فند
معارفه وعوارفه ... تساجل فيها لسان ويد
وغائبه مثلُ شاهده ... مع الله قام به وقعد
لأعيا منافسه عملا ... وعلما سعى بهما وحفد
فطوبى له وحميد مآبٍ ... إلى ربوات النعيم الرّغد
ورُحمى تسحّ على تُربة ... أوت جسدا يا له من جسد !

محمد رضا شرف الدين

أديب بارع متمكن في صناعتي الشعر والنثر، حُسيني الأرومة والده مرجع كبير من مراجع المذهب الشيعي في العراق، وعمل هو في السلك الدبلوماسي بالمغرب ولبنان، وأول ما عرفته في زيارة خاطفة له إلى طنجة أوائل الاستقلال، ثم لقيته في بيروت كان ملحقا ثقافيا بسفارة بلده فيها. وكان الصديق الحميم الأستاذ حسن الزِّين صاحب دار الكتاب اللبناني، أقام حفل إكرام لي دعا إليه الكثير من الشخصيات الأدبية ببيروت، وأثناء الإحتفال أطلعنا على مشروع إصدار طبعة ممتازة لكتاب نهج البلاغة المنسوب لسيّدنا علي كرم الله وجهه، وذكر أن إخراجها سيكون في حُلة قشيبة لم يسبق أن طُبع بمثلها كتاب تراثي، وأنها ستحتوي على مُلحق بعشرين تعليقا تغني عن شرح النهج بما لا يُغني عنه شرح فمنها تعليق لُغوي وآخر تاريخي وآخر بيبليوغرافي... إلخ، وأحضر لنا الكراسة الأولى منها وطلب رأيي فيها، فلما تصفحتها قلت له إنها حقا طبعة ممتازة وتليق بأهمية النهج، ولكنني ألاحظ عليها أنها تحكي الحلة التي يُخرَج بها المصحف الشريف في زخارفها وعناونها وجداولها بحيث يظن الناظر إليها لأول وهلة أنها قرآن، وهذا أمر يحسن تجنبه تعظيما لكتاب الله، وقد طُبعت كتب السنة في إصطمبول ومصر بغاية العناية، كما توجد مخطوطات للصحيح وغيره لم يُقصر كُتابها في تنميقها ولكنهم لم يُضاهوا بها الكتاب العزيز، فمنَ هذا الباب يجب أن يكون النهج بعد القرآن والحديث في التقديم، ومن جهة أخرى لضمان رواج هذه الطبعة ينبغي أن يُتخَفَّف قليلا في إخراجها ليقتنيها الشيعيُّ والسنيّ ويستفيد الجميع من هذه الفهارس والتعاليق العشرين التي ستُلحق بها. فاقتنع ووافق الحاضرون على ملاحظتي هذه، ولما كنت أتصفح هذه الكراسة التي قدمها إلينا قرأت الخُطبة الأولى من خُطب النهج وهي المخصصة بتوحيد الله فظهر لي أن بها خصاصا ولطول العهد توقفت قليلا في إبداء ملاحظة ثانية على النص أو قُل المضمون لا الشكل، ولكني لم أسرع بإبدائها حتى تأكدت من الأمر فقلت له : إن في نص هذه الخطبة بترا بأولها وكان ذلك في قول علي رضي الله عنه في وصف الله عز وجل « كائنٌ لا عن حَدث، موجود لا من عدم، مع كل شيء لا بمقارنة وغير كلٌ شيء لا بمُزايلة" إذ حُدفت عبارة "لا بمقارنة" من جملة "مع كل شيء" وأثبتت بدلها عبارة

"لا بمزايلة" من جملة "وغير كلٍّ شيء" التي حُذفت من الكلام.

فقالوا لا حذف، والكلام على أصله فبينتُ مناسبة لا بمقارنة للمعيّة ولا بمزايلة للغيريّة، وأن موضع كلٍّ منهما هو ترتيب على "مع وغير" وقلت أين الأصل ؟ أحضروه، فلما أُحضر وُجد كما قلت.

فتعجبوا من الأمر وقالوا هل تحفظ النهج ؟ فقلت لا، إنما أحفظ بعضا منه، وهذه الخطبة بالخصوص مما أحفظه. فقام السيد رضا وقبّل رأسي وقال : كاد الزِّين أن يفضحنا، فقلت لا إن هذا من نتيجة عدم التحفظ في مضاهاة القرآن.

وأفضنا في الكلام على نهج البلاغة ومكانته في تراثنا العربي الإسلامي، وقال كل واحد ما عنده في هذا الصدد وكان من الحاضرين الذين أذكر أسماءهم الآن : العالم الدكتور صبحي الصالح، ،والشاعر فؤاد الخشن، والأستاذ حنا الفاخوري الذي قال إنه يستطيع أن يُخرج فلسفة أرسطو من نهج البلاغة فألححت عليه أن يفعل أو على الأقل يقوم بدراسة موضوعية في هذا الصدد. تتابعت الإتصالات بيني وبينه بعد ذلك وخاصة لما عُين بالمغرب مُلحقا ثقافيا، وأغرب ما وقع لي معه أني رأيت في النوم ذات يوم حركة استعداد بمنزلنا وتهيء لزيارة الحسين السبط رضي الله عنه هو وأهله المكرمون، والنساء يشتغلن ويصنعن ما يلزم لهذه الضيافة الشريفة. ومن الغد لم أشعر إلا وهو يطرقُنا مع أهله وأولاده الصغار من غير إشعار سابق، فاستقبلناه بمنتهى الحفاوة ومزيد من العناية، لا سيما والرؤيا قائمة بين عيني. فقلت هذا تأويل الرؤيا وزيارة جده سيدنا الحسين لنا في المنام.

وقد أطلت في هذه المقدمة فلنرجع إلى موضوعنا الأصلي وأسجل مما خاطبني به شعرا قوله بعد مغادرته للمغرب :

"سيدي الأخ، أستاذي الأكبر ابن جنون رعاك الله وتقبل صيامك وجعل أعيادا أيامك. أنا الآن في الأحساء، معارا لخدمات فيها بمديرية التعليم، مكتب التفتيش الفني.

ربما تعلم أن الأحساء هي هَجَر، نعم هذه هي هجر وهذه سعفاتُها التي قال فيها أحد أسلافنا المومنين : «والله لو بلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أننا على حق» نعم

هذا تمرها الذي قال فيه المثل «كناقل التمر إلى هجر» وذلك فضلك عندما أرويه لكل فاضل".

اسمع سيدي هذه الأبيات التي جرت مع القلم.

وأطلت الهجر فذا سفري — في هجرك طال إلى "هجر"
هجرٌ من طنجة ذات نوًى — يرسى الى واد على القمر
في صدك أنت أخو حضرٍ — وأنا بهواك أخو سفر
زمن لا يُحسب من عمري — زمنٌ ينأى بك عن بصري
أنا أهواك بلا حَذرٍ — وعذار فداك هوى عذري
انظر يا منصفُ مظلَمتي — من ليل طال به سهري
واحكم بالأمر بلا ضرر — حُوشيتَ وحُكمُك من ضرر
هبني يا طارق منك يدا — هي والأقدار على قدر
شقّت في البحر طريق هُدى — ومضت في البحر بلا خُور
عليّ يا طارقُ في "أطُرٍ" — أجد المفقود من الصور

الهفوف المخلص : 15 - 12 - 1967

وكانت هذه الرسالة مكتوبة هي والأبيات الشعرية على ظهر صورة بريدية لمسجد الرسول «ص» والقبة الخضراء إلى جانب المأذنة في ألوان ناصعة وإخراج رائع، وبالصحن الأنور جموع من الزوار المحظوظين.

فأجبته عنها بنثر لم أحتفظ به وهذه الأبيات من وزن وقافية أبياته :

ورَدتْ فمسحتُ بها بصري — وشَفَيْتُ بتقبيلها ضرري
أسنى قِبب الدنيا ومن — يتبوّأها أسنى البشر
نُقلت طبق الأصل على — ذلك اللون الخضر النظر
وجموع الناس بساحتها — من مُبتهلٍ أو مُدكُر
يرْجون الله ورحمته — وشفاعته من جاء بالبُشر
فلهم بُشرى ولنا أملٌ — بِوَشيك العودة والظفر

إيه شـــرَف الدين أمـــا … تـنـفـكُّ تـلـوم وإنـي بـري
لو كـان بوسـعي لما طَلعت … أقـمـارُك إلا على جُـدُري
ولما هبَّت نفـحـاتُك من … من غيـر مَـبْدايَ ومُحتضري
فـالله الله صـديقي رضي … مِ الهجـر ولو كـان في هجـري

وجاءني منه بعد ذلك من بيروت هذه القصيدة.

باسمه تعالى وله الحمد : بيروت في 5 ذي الحجة 1382

سيـدي :

هَبْ قريضي من السُّمُوّ كمالك … وخيالي افِضْ عليه جمالك
ويَراعي فـمُـره ترسل بيانا … يرسل النور شأوه أرسالك
فابن عبّاد[68] إن جرى فوق طِرسٍ … في يمينَيْه لا يُجاري شمالك
لو وهبتُ البيان شقَّ يراعي … لأريتُ الأنام فيه هلالك
وفؤادي فـهبه سحبان[69] راق … منبر الفضل هل يعي أفضالك ؟
وجناني فـهَبْه في الخيل زيدا[70] … مُشرِعِ الرمح هل يجوز خلالك
فـأعرني المُغيرَ عمْر بن معد[71] … في الصَّبُوحين لا يريمُ حيالك
العـوالي عـواهِنٌ أو حُطام … وقـدَّةَ النار إن نضيّت نصالك
والعوادي العِرابُ غير عراب … مطلقات، إذا عقدت عقالك
ما "القُس[72]" مقالة في عكاظ … سجل الدهر، إن نثرتَ مقالك
أي هذى الصّفات أُطري ثناء … لا أوفيك أوْ أعُدُّ رمالك

* * * * *

لا أهنيك في الزمـان بعيـد … بل أهنيه أن أرى أمثالك
رافع الحَرف ذروة في مجال … حيث يظمى أرشفته سلسالك
ناقل الكمِّ في الفنون بكيف … أروعُ الفن ما قرأتُ مقالك
وقُصاراي : أنت عيد لعيد … لا يساوي جديده أسمالك

وبعد يا سيدي فإن قصارى ما أطلب : عطفك الذي تعودته منك، فما هذا الصمت الذي أقلقني، أرجو من الله مُخلصا أن يكون سبب ذلك ما نحبُّ، وأن يُجنبكم كل سوء بمحمد وآله صلى الله عليه وآله.

نحن والعائلة بخير نرفع للعائلة الكريمة الإحترام، الأولاد والبنات يقبلون الأكف ويلتمسون الدعاء لهم بالتوفيق في دينهم ودنياهم وأدام الله ظلكم مــولاي.

المخلص : محمد رضا شرف الدين

وقد أجبته عن قصيدته بهذه الأبيات :

عــاثِر الخطو من يُجاري كمــالك	لو جـرى "كـالسُّلَيْك" (73) دهرا حُيـالك
وبليـــد من رام يحكي بيــانا	لك فيـه الخصل المُجلي خصـالك
المعــالي ورثتَــهـا عن عَــلِيٍّ	من يُقصـِّـر من ولده لن أخـالك
والمُفـادات والفـتـوة والإحســـ	ـان اجـزلن من "حســين" نوالك
شــرف الدين لا يُسـام بدُنيـا	ولقـد حُـزْته وصـار سـمـالك
فـاغتـبط بالسمـوِّ أصـلا ونفسا	إنه مـفـخـر يُمـيِّـز آلك

* * * * *

وقـريض بعــثـتـه لي بعـيـد	قـد تلمـحتُ في سـمـاه هلالك
لو "بِشَّـار" (74) جـاء منه بشـيـر	لنضـا "برده" ولم يتـمـالك
المعـاني والفن والسـحـر فـيـه	يتـداعى جـمـالهـا وجـلالك
والمبـانـي يزينهـا حُـرُّ لفظ	وانسـجـامٌ سكبتَ فـيـه زُلالك
نهجُه مُعـجـز فـباغي مـثـال	لأسـاليـبـه كـبـاغ مـثـالك
ولهـذا قـصـرتُ كمًّا وكـيـفـا	عنه إذ كنتُ لا أطيقُ سِجـالك
فـتـقـبل شكري تقـبُّلَ عُـذري	إنني لا أفي به أفـضـالك

له عن المغرب كتاب : "أربعة عشر يوما في المغرب" كتبه في زيارته الخاطفة التي أشرت إليها آنفا. وكان يودُّ أن يعود إليه في زيارة طويلة ليَكتب عنه دراسة

واسعة من شدة حبّه للمغرب وأهله.

وبلغني خبر وفاته قبل الحرب المشؤومة بين العراق وإيران رحمه الله رحمة واسعة.

الحاج أحمد بن شقرون(75)

العالم الأديب المتمكن الرئيس، العميد المستشار صاحبُ الكفايات العديدة، والأخلاق الحميدة توقَّل في مدارج الكمال علما وعملا حتى بلغ أعلاها ولم يُغير ذلك من شيّمه وشمائله شيئا. وهو الآن رئيس المجلس العلمي الإقليمي بفاس، وعميد كلية الشريعة من كليات جامعة القرويين ومستشار رابطة علماء المغرب، وإنا لنرجو له فوق ذلك مظهرا.

تجري بيني وبينه مُخاطبات بمناسبات، ومنها هذه القصيدة التي هنّأني بها بعد الإبلال من مرض :

عاد الأمين من العيادة بعدما ... أضحى وقد ركب السلامة سُلما
فالحمد لله القدير على الذي ... أهداه من خير فجاد وأنعما
بشفاءٍ من خبَر الحياة فصاغها ... كتُبا تهذّبُ من يَوَدُّ تعلُّما

* * * * *

مرَّ الطبيب بمَبْضعٍ متحايلا ... بمهارة لمستْ لهيبا مُؤلما
فرمت بداءٍ جانبا وتتبعت ... ما كان أجدر أن يُزاح ويُحسَما

* * * * *

قُل لابن سينا نم هنيئا إنما ... يزداد طبك بالقرون تقدما
تسمو به أيدي شباب ماهر ... حذَقَ - الطِّبابة - حكمة وتفهما

* * * * *

قال النبيّ لمن يُشاك بشوكة ... ويصير من وخزٍ لها مُتألما
وله من الإيمان كنز رابض ... في قلبه يحيا به مُتنعّما
إن الثواب جزاؤه من ربه ... يوم المعاد وقد توقّع مغنما

والمومن المجـــروح في عــمـلـيــة | أولى وأجــدر أن يُثــابَ ويُكرمــا
وأمين رابطة العلوم لم يـــ(76)ــزل | مُتعلقا بالله منقطعا إليه مسلما
يدعـوه دومـا راضـيـا بقـضـائه | يتلو الكتـاب وللنبيٍّ مـعظّمـا
ويهـيب بالإخـوان حـتى يرتَوُوا | من نَبع مـا شـرع الإلاه وألزمـا
ويَودُّ لو عـــاد بفكٍّ رقــابنا | من آسـرٍ سِيَـرٌ سـمتْ أن تُثْلمـا
حـتى نكون بفك حـجـر من أذىً | أهلا وحـتى نسـتـعـزُّ وننعـمـا

* * * * *

ويَوَدّ لو عُـدنا لظل كـتـابنا | في كلٍّ مـا نبنيـه في ظل الحِـمى
حــتى ننال من الإلاه رضـاءه | فـيدوم مـا أولاه من خـيـر سـمـا

* * * * *

ويود لو لُذنا بسنة سـيّـد | لمكارم الأخـلاق جـاء مـتـمـمـا
حـتى تكون شـفـاعـة منه لنا | يوم الجـزا وبفـضله لم نُحـرمـا

* * * * *

ويود لو عكف الجـمـيع على الهُدى | مُـتلمِّظا مسـتحليا مـترسـمـا
حـتى يذوق حـلاوة الإيمان عن | كـثبٍ فـيسلمَ أن يُرى مـتندِّمـا

* * * * *

ويَوَدُّ للفـصـحـى مكانا بارزا | في قلب مُجـتـمـع تهاوَنَ مُعدمـا
حـتى يكون لدُرِّها وبيـانـهـا | فـوق الرِّطانة مـا يُحـقق مَـغْنَمَـا

* * * * *

ويود للضـاد العـزيزية فـوق ذا | مـا تسـتـحق تعـاليـا وتسنمـا
حـتى نعـيـد حـضـارة منسيـةً | فـيـعـود بارع فنِّهـا مـتـحكمـا

* * * * *

جـئنا نُهنئ بالسـلامـة سـيـدا | يلقى الأحـبـة بالبـشـاشـة حـيـثـمـا
ونهنئ العلمـاء طرا بالشـفـا | لأمـينهم حـقَّـتْـه ألطافُ السَّمـا

دجنبر 1973 - 1393

وقد أجبته عنها بهذه الأبيات :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسان عن الفؤاد مُترجما
من لم يعبر نُطقه عن قلبه فبأي مفهوم يُقال تكلما
وأرى البلاغة أن تُعبِّر صادقا عمّا تُحس ولا تكون مُحجِما
هي طاقة ما إن أرى نداً لها إلا الأديب العبقريُّ المُلهما
وأرى ابن شقرون العميد المُرتضى أولى بها وأحق فيمن يُعتما
فهو الذي يزِن الكلام وينتقي ألفاظه من عِقد دُرٍّ نظما
أقواله كفِعاله محمودة عند السَّراة بكل مُجتمع سما
ولقلما عدل الفتى أقواله بفعاله فعدلتها ولقلما

* * * * *

شكرا أبا العباس إنك نِعم مَن واسَى بما أنشأْتَه ولنِعم ما
قرظتني لا بل رسمْتَ مخططا للنجع من يعمل له لن يندما
لا فُضَّ فوك ولا أُصبْتَ بأيما سوء ودُمت من السرور مُسلما
واقبل تحية مُخلص ومعظم لَك ليس يفتأ مخلصا ومعظما

علي الصقلي الحسني(77)

الشاعر المبدع المتفنن، من أدباء المغرب الذين يُشار إليهم بالبنان، له انتاج شعري خصب، يمتاز بالتجديد والإبتكار مع المحافظة على الأصالة والديباجة العربية الناصعة. خاطبني من السودان وهو يَلي سفارة المغرب به، بهذه القطعة التي كتبها على ظهر بطاقة بريد تصور منظرا طبيعيا ساحرا :

من الخرطوم من بلد ... به للشمس أعراس
تُشد لها وإن هي قد ... توارت ثم أمراس
فللِّيل البهيم ضُحى ... كما للصمت أجراس
تحيات لها طابت ... كخلقك أنت أنفاس
وآداب سقتها النا ... س كفَّك فانتشى الناس
وما مُلئت بغير الصِّر ... ف من سلسالها الكاس
كذاك ومن حُميَّاها ... أضاء الفضل والباس
وعلم لا يقاس به ... وإمتاع وإيناس

فأجبته بالأبيات الآتية :

ألا أهلا بتذكار ... لإخوان هم الناس
كأن رواءه لؤلؤ ... كأن بريقه ماس
مراع حول أطواد ... فراديس وأقداس
وأجواء وأطيار ... لها سحر وإيناس
فديتهم لقد وفُّوا ... بعهدهم وما خاسوا
على بعد وفي قرب ... لهم تفغم أنفاس
ومن آدابهم نُخَب ... به كم دارت الكاس
لأضحوا زينة الدنيا ... وبلسمها الذي ياسو
فحيتهم نُسيْمات ... نماها الورد والآس
وحلت دراهم نُعمى ... وأعياد وأعراس

أبو بكر اللمتوني(78)

محل الولد العزيز نابغة طنجة وأديبها المفرد، ظهرت نجابته وهو ما يزال في طور الطلب، ثم لم يزل يتوقّل في درجات المعرفة حتى أوفى على الغاية المرموقة، شارك في المساجلة التي جرت بين الأدباء بطنجة على إثر مخاطبة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور لي بقصيدته البائية السالفة الذكر. وكان حينئذ في بداية الطريق، فاستحسنت مبادرته وهذه قصيدته في ذلك :

عليك السلام أخا العرب ... فنحن شقيقان في النسب
تُوحِّدنا ذكريات الحِمى ... وتجمعنا وحدة الأدب
إن كنت للمصطفى تنتمي ... فإني ابن من اصطفاه النبي
وجاهد في نشر مبدئه ... إلى أن كسى رُقعة المغرب
وإن كنت صنهاجي المُعتزى ... فصنهاجة هي مهد أبي
لكم زحَفت بإمارته ... لنشر المبادئ كالسحب
وكم سألتهم حمايتها ... من الحادثات فلم تخِب
وباتت رباط فتى بطل ... وأضحت رباط مليك أبي
أفاد البلاد وقاد العباد ... إلى العز والمجد والأرب
فحد المغارب في مجهل ... ورأس الأطالس في شُهب
فلو كان يخلد مُلك امرئ ... لكان المُخلد في الحُقُب
فأكرم بصنهاجة ونبات ... صنهاجة المُكثر المخصب
بلادي تلك ولعت بها ... ولُوعَ المنادم بالحبب
نزحنا إلى طنجة من حما ... ها نزوح الصحاب إلي يثرب
كلا الرحلتين لهدي العباد ... وصون البلاد من العُطب
وما طنجة غير مُلتجا ... لكل نجيب من النُجُب
يلاقي النبوغ بها قومُنا ... كما يُبتلى بأبي لهب
وما ضر حمالة العلم من ... جسارة حمالة الحطب
أولئك قوم غباؤهم ... يريد يرى كل فذّ غبي

ترى جسمهم مثل جسم الحمار وعقلهم مثل عقل الصبي
إذا حضروا بعصا تلتوي ونظارة حمرة الذهب
وقد طاب رأسهم بالشذى وقلبُهم ليس بالطيب
فمن أبصر القرد يحكي الأناسي وليس الأناسي باللعب
ولا بابتلاع الكلام ولا بعضُ الشفاه لذى الخُطب
ولا باجتماع البنين على عميد مصوغ من القصب
ولا بأنا وأنا وأنا فإن "أنا" غلة المُجدب
ولكنهم بحفاظ كبير وعلم كثير وكف حبي
وهل تُبصر النور نظارة إذا عمي القلب من وصب
وهل يبلغ المجد طول عصا وليس إلى المجد من سبب
إذا أسندت للجهول العظام فأهلا بثوب الرّدى القشب
وما أشبه الحرص من هؤلاء على الأمر والحُكم والرُّتب
فإن انتهى منهم لاقتبال كنون ذي العلم والحسب
فاقفز بين الثُّرى والسما وهل يُقرن الرأس بالذنب

* * * * *

سقى الله عهدا بمعهده كبرق وما هو بالخلب
علمنا به كيف تُقرى الكِرام وكيف تداس يد الأجرب
وكيف تشِفُ من المرتضى من الخُلق عاطفة الكتب
كما شفَّ شعر بن منصور عن خلائق أجْلى من الذهب
تسامى شذاها المعطّر من طبائع أعلى من الضرب
أتى طنجةً موردا أهلها معارف كالمطر الطيب
فصانوا الجميل وكانو السبيل إلى مدحه طنجة المطرب
وقد كان أهلا لما ناله ولكنه الخُلُقُ العربي

19 ذي الحجة 1367 موافق 23 أكتوبر 1948

وخاطبني من مصر وهو يدرس بهذه القصيدة :

القاهرة 1 - 7 - 1951

أستاذي الكبير سيدي عبد الله كنون تحية وإجلال وبعد(79)، فقد :

ذكـرتُك والأشـبـاه واسطة الذكـر لدى بهجة الدنيا في طلعة الفجر
فـقلت أمـا ينسى التناسي مـرة فيعدل في وصلي ويعدل عن هجري
إذا طالت الأبعـاد بيني وبينه فهل طال ما بين الصحيفة والحبر
ومـثلي من تطوى المـوازين دونه وإلا فـمـا حق البنوّة في الفكر
ذكـرتك إيمـانا بحـقي فـإن أكن أُغالي، فقد تحلو المغالاة في الشعر
ذكـرتك والأشـجـان تغلي كـأنهـا مـراجل أجـواد ترقـرق في صـدري
نعم أنا في مصر حِمى الشعر والهوى ولكنهـا لم تُنسني أبدا مـصـري
بلادي على مـا عندها جنة الدُّنى وقـومي على مـا عندهم دُرَرُ الدهر
ذكـرتك والأنسـام تنسـاب رقـة بقلبي أن يَصْلى... ونفسي أن تجري
هنا كـبـد حـرّى تقلّب في الهـوى وإن من الأهواء أقسى من الجـمـر
وقلب كـوجـه النهـر يفـتـرّ كلمـا تصافحت الأنسام في صفحة النهر
ولكنه من وُدّكم سـاكني الحِـمى يحـاذر أن ينأى بعـيـدا عن الوكـر
ذكـرتك والأنوار أنوار أحـمـد تزّف رضـاء الله في ليلة القـدر
فأضحيت أشجى والشجى غمرة الهوى ورددت أدعـو والدعـاء من الذكـر
بررت صـيـامـا واغـتـبطت مـعـيـدا لتنعم بالقـربى وتهنأ بالفطر
ولا زالتِ الخـيـرات تترى عليكم يد الدهر لانت في يديك يد الدهر
سـلام على العليـاء والعِلم والنُّهـا سـلام على زين الأحـبـة من مـصـر

محمد بن محمد العلمي(80)

الأديب الكبير الشاعر المُفلق، حليف الإحسان والإجادة على الإكثار والنفس الطويل، يمتاز شعره بالعذوبة والسلاسة، ويقول في الوُجدانيات والأغراض الصوفية فيوفي على الغاية.

خاطبني عند تعييني رئيسا للمجلس العلمي الإقليمي بطنجة بهذه القصيدة :

بِبـاقـات الرياحـين ... وأنسـامِ البسـاتين
أزفُّ تهـانئي حُـورا ... عـذارى من أفـانين
وتشدو مُهجـتي شدْوا ... رخيـما للحساسين
وصدق محبـتي منه ... رقـيق الشعـر يأتيني
أرى العرفـان في عزٍّ ... وفي طربٍ لتعـيين
وللإسـلام مغـربنا ... دواما ذا تحصين
وطنجـة تزدهي حقا ... بعـبـد الله كنون
فـفي علمٍ وفي خلق ... وفي فكر وتكوين
تبـوأُ رتبـة عُليا ... بفـال منه ميمون
وكـان لقـدره وزن ... ثقـيل في الموازين
وأوتي حُظوة كبرى ... تزين كل تبـيين
وإن دروسـه كـانت ... كنوزا في المضامين
لقـد بَزَّ "ابن سينا" ... وجـاوز علم "ذي النون"
وكل روائعي فيـه ... أمـام العُـمق تعصيني
عجـزتُ أمـام هيْـبته ... فنور العلم يُعشيني
وتلك طبيـعتي أبدا ... جمـال الرُّحِ يسبيني

* * * * *

يُشـرف عـرشنا رمـزا ... لأعـلام ميـامين
(فبالحسن) الهَديٍّ أضحى ... بحسَّن خيـر تحسين

يريد سلوكنا نهجا ... قويما غير مفتون
بعصر تائه غِرٍّ ... سقيم الروح مجنون
ويشهد في أئمتنا ... رصيدا غير مغبون
وفي (كنون) نحن نرى ... ترفعه عن الدّون
فمرحى دائما مرحى ... لسرٍّ منه مكنون
ففارسُنا له سبق ... إلى خير الميادين
وعالمنا المبجّل نو ... مشاركة وتمكين
فقد حسنَتْ مواقفه ... وكانت خير عُربون
يقول الحق محتسبا ... ويأبى عثرة الهون
قوي في عقيدته ... بلا طمع ولا لين
ففي الإلحاد ليس يُرى ... لزاما أي تأمين
فللتدجيل قد برزت ... أضاليل الشياطين
وفي الإسلام عزّتنا ... برُشد منه مضمون
وفي التوحيد همته ... تجاوزُ كلّ تخمين
ويحذَرُ كل منعطف ... من الأهواء ملعون
وجند الله لم يشعر ... بإضعاف وتوهين
فدعْوتُه : يُبلغها ... صفاء دون تلوين
وتلك رعاية تُعزي ... إلى تاج السلاطين
بشارتُه لقد واتتـ ... ـه في الدنيا وفي الدين
وقد جازاه مولاه ... بأجر غير ممنون
فواهاً دائما واها ... لعبد الله كنون

وقد أجبته عن هذه الدرّة الغالية بهذه الأبيات :

أديب دو أفانين ... تأرّج كالرياحين
وذو حسب وذو نسب ... من الغُرِّ الميامين
له في الشعر عارضة ... شأى فيها "ابن زيدون"
وإحسان وإبداع ... بشكل أو مضمون

أتتني منه مسالكة | كتاج من "بلاتين"
كعقد من يواقيت | كنافحة من "دارين"
جزاه الله عارفة | جزاء غير ممنون
وأبقاه وأرقاه | ذرى عز وتكمين

وجاءتني منه هذه الأبيات وقد أبللت من مرض:

هنيئا بالنقاهة والشفاء | وبشرى بالحياة وبالبقاء
فعبد الله كنون عزيز | علينا أجمعين بلا مِراء
أقام بدعوة الله المزايا | وقد زان المحافل بالسناء
ضياء الحق موصول وثيق | على "الميثاق"(*) يرفل في الرضاء
وللعلماء فيه خير مجْلى | يبارك نوره رب السماء
فعِش للعلم عبد الله رمزا | رعاك الله في خير اعتناء

فراجعته بهذه القطعة من وزنها ورويِّها :

رعاك الله رعْيك للإخاء | ودُمت ودام قدرك في اعتلاء
وشكرا من صميم القلب يُزجى | إليك مع الجميل من الثناء
دعوتَ بما القبول له نُرجي | كما هنأت حبُّك بالشفاء
بشعر كان بلسم كل جُرح | وإكسيرا يعالج كل داء
ولا غروى فربُّ طبيب نفس | يكون لقوله فعل الدواء
كذاك الشعر صاحبه حكيم | وذا من قول ختم الأنبياء

(*) - جريدة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب التي كان الشاعر يصدرها.

محمد بن عبد السلام الطاهري(81)

العلامة الجليل بركة فاس وبقية رجالاتها الأفاضل أهديت إليه بعض مؤلفاتي التي لم يكن اطلع عليها من قبل فاهتبل بها أشد الإهتبال، وذلك من انصافه وظنه الجميل، ولم يملك إلا أن خاطبني بهذه القصيدة الفريدة(82) :

حسن الحِباء من الحِبِّ الرضي الحسن ... قد ساقني لمقال الشعر بالرَّسنِ
فقلتُه وأنا ما كنت أقرضه ... فيما مضى لقبيح كان أو حسن
إذ ما عاينت عيناي طائفة ... من كتبِ حبّي انتفى ما بي من الوَسَنِ
كتبٌ بها يعتلي من كان مُتّضعا ... وينجلي الحُزن عمّن كان ذا حَزَن
فيشرئبُّ إلى نيْل "النبوغ"(83) كَما ... يرعى "التعاشيب"(84) والأملود من فتن
كما يرى سالكا دربا يُوصله ... لروضة قد زهت بنافع المُزُنِ
كتبٌ بها يظهر العلم الرصين وما ... لاهل فقه من الآداب والشجن
كتبٌ سمَتْ ونمتْ بين الأنام فمن ... يشغف لها كان قطعا سالك السُّنن
كتبٌ لمن صاغها في العلِم منزلة ... من كان يجحدُها لا شكَ ذو أفن
لو كان صائغُها غير الحبيب لما ... ملأت إلا بها ما امتد من زمن
فكيف وهو حبيبي الفد مذ أذنَت ... إليه نفسٌ قِدما أيُّما إذَن
ذو العلم والفضل والآداب شنشنة ... من والد وجدود مصلحي الوطن
وأنت شبلهم المقدام أفضل منْ ... أحيى به الله ما أحْيوْه من سنن

* * * * *

حِبِّي أقبلن خبري بالحب ممتثلا ... قول الرسول فمن يقفوه في أمن
وأقبل سلامي وإخلاصي مودتكم ... وامنن بزوْر فذاك أكبر المِنن
يا غائصا كل بحر مخرجا دررا ... ثمينة مالها في الدهر من ثمَن
ومنكر حُسنها كل يقول له ... والله ما لك في ذا الشأن من لسن
إذ أنتم أهل العلم في الورى اشتهروا ... وأهل مجد أثيل فائق حَسَنِي
من الكريم أرجّي طول عمرك في ... عَزٍّ وعافية وكامل الذِّهن

حـتى تزيد الورى من علمكم دُررا تغنيـهم عن تعـاطي أرفع المِهن
بجاه من تمّم الأخلاق واختُتمت به الرسـالة في سـرٍّ وفي علن
صلى عليه إلاه الناس ما سجعت قُمرية بِشجيٍّ الصوت في غصن

وقد أجبته برسالة شكر صدّرتها ببيتين من وزن قصيدته وقافيتها وهي :

حُييت يا نبْعة العلياء والشرف ولا برحت من الألطاف في كنف
ودُمت كعبة علم ظلها خضِل لمن يؤُمك من باد ومعتكف

وتشرفت بزيارته في بيته العامر بصحبة العميد الأستاذ السيد الحاج أحمد بن شقرون، فوصلني منه بعد ذلك على يد العميد هذه الأبيات :

وفى بوعده حِبُّنا إذ زارني مُتفضلا بمكاني المتواضع
كنون عبد الله شمس إن بدَت فالغير يخفى بالضياء الساطع
ماذا أقول لعالم متواضع قد خُصَّ في بيت العُلا بمواضع
ما لي سوى قولي العليم يزيدكم عِلما يُتوجه بحسن تواضع
ويُطيل عمركم إلى أن تُبرِءوا مرْضى الجهالة بالدواء الأنفع

فاس يوم الاربعاء 2 جماد الثانية 1399

محمد الطاهري

صالح القزاز(85)

الشيخ صالح من فضلاء أهل مكة وعلمائها وأدبائها، متحدث فصيح وإداري حكيم، تولى الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة، وناهيك بها، فقام بالمهمة خير قيام، وكانت له مبادرة في تحقيق أهداف الرابطة على الصعيد الإسلامي تدل على خبرته وحنكته وحُسن تأتيه للأمور مما سُجل له في تاريخ العمل الإسلامي بمداد الفخر والإعتزاز. أصبتُ بوعكة ونحن في مبنى الرابطة بِمنًى فطلبته للتفاوض معه في بعض الأمور فخاطَبته بهذه الأبيات :

يا صالحا وأنت وُسطى العقد	أشكو إليك منك عكس القَصد
أردت أن تعودَني لأبدي	إليك ما عندي بكل وُدّ
فلم تُلبِّ دعوتي كالعهد	بكل ذي مكرُمة ومجد
ورُبَّ شكر وجميل حمد	نالهما المرء بحسن ردٍّ

فأجابني بما يلي :

إلى صاحب الفضيلة أستاذي الجليل الشيخ عبد الله كنون :

يا من تسامى في العُلا والمجد	ومن غلا قدرا وفضلا عندي
أعاذك الله عظيم الجدِّ	من شر كل حاسد وضدٍّ
عتبتَ والعُتبُ دليل الود	ويعصِم النفس ضروب الحقد
عُذري إليك أنني ذو عهد	ولم أحط علما بهذا القصد
وقد أتيتُ الآن أسعى جُهدي	مُعتذرا فاقبل جميل ردِّي

في 13 - 12 - 1395 محمد صالح القزاز

وبعدما زارني وأفضيت له بما عندي، أنفذ إليّ هذه الرسالة مجددا الإعتذار، ومعيدا النظر في القطعة الشعرية المتقدمة.

حضرة صاحب الفضيلة أستاذنا الجليل العلامة الشيخ عبد الله كنون نفع الله به آمين... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فقد حرصتُ على أن أحظى برؤيتكم قُبيل سفركم للمدينة وأتزود بنظرة إلى طليعتكم وأفوز بدعوة صالحة منكم، إلا أنه شاءت إرادة الله أن أبارح مقر الرابطة في منًى قبل مغادرتكم، فلا شطَّت بكم الديار، ولا بعد بكم المزار أسأل الله تعالى أن يطوي أيام الفراق، وتعود إلينا في العام القادم وأنتم على خير حال وأحسن مآل. وكتب الله لكم السلامة في حلِّكم وترحالكم. وبعد،

فهذه الأبيات التي هي نفحة من نفحاتكم أسجلها في هذه الصحيفة وقد زدتُ عليها، أرجو أن تحظى بالقبول منكم :

يا من تناهى في العُلا والمجد ... ومن سما قدرا وفضلا عندي
أعاذك الله عظيم الجدِّ ... من شر كل حاسد وضدِّ
عتبتَ والعُتبُ دليل الود ... ويعصمِ النفس ضروب الحقد
عذري إليك أنني في بعدي ... ولم أدرِ بالذي بدا من قصد
ولم أحط به من أي فرد ... يدري بذلك المعيد المُبدي
وقد أتيتُ الآن أسعى جُهدي ... مُعتذرا فاقبل جميل ردِّي
وامنُن بعفوٍ شامل مُمتد ... علي مُحب حافظ للعهد
وأشهد الله على ما عندي ... لكم بقلبي من عميق الودِّ
وفي ختام القول مسكا أهدي ... تحيَّتي مقرونة بالحمد
منظومة نظم جُمان العِقد ... طيبة كطِيب عطر الورد

في 14 ذي الحجة 1395

المحب محمد صالح القزاز

ثم استدعاني بعد ذلك للغداء في بيته، وكنتُ قد ارتبطت بدعوة للسيد سفيرنا بجدة، وكانت دعوته ببطاقة مع قطعة شعر لكنها ضاعت. وقد أجبته معتذرا بأبيات من وزن شعره وقافيته، وحيث أني كتبتها أولا في مذكرة الجيب، فقد حفظت وهذا نصها :

فديتُك من كريم لا يبارى — يلاقي ضيفه أهلا ودارا
ويُوسِعُه برورا واحتفاء — ويُتبعه الكرامة حيث سارا
أتتْني منك دعوة ذي وداد — لها مسك الختام غدا شعارا
أما يكفيك أن أكرمتمونا — أسابيعا مُباركة غزارا
وأنا من عنايتكم نَعِمْنا — بها حجّا وزوْرا واعتمارا
فشكرا ثم شكرا دون عدٍّ — وأبقاك الإلاه لنا منارا
ولا تأخذ عليَّ فإن وعدا — تَقدَّم لم أجد عنه اعتذارا
ومثلك من تسامح ثم أغضى — عن التقصير واغتفر العثارا
فإن يكنِ الحضور عليَّ فرضا — فليس تخلُّفي إلا اضطرارا

محمد عبد الغني حسن(86)

شاعر الأهرام الأديب الكبير المؤلف المُكثرْ عضو مُجمع اللغة العربية، قرأت له في المجلات المصرية وخاصة مجلة الهلال قبل أن أتعرف عليه شخصيا، ولما عُيّن عضوا في مجمع القاهرة توثقت الصلة بيني وبينه ورأيت فيه شخصية أدبية متمكنة ذات اطلاع واسع على شؤون الثقافة العربية وكانت تدخلاته في مجلس المجمع مفيدة وبناءة، وكان من الحاضرين الدائمين في مؤتمرات المجمع وتُنبئ محاضراته عن معرفة متينة ومقدرة تامة، كان يتودد إليَّ بإهداء كتبه وبعض التَحف النادرة من طيب وغيره وأهداني مرة سُبحة من فضة، ويكتب لي على بعض كتبه عبارات بليغة وتارة أبياتا شعرية فأجيبه عنها بما يجاريها وزنا وقافية، ومن ذلك ما كتبه على تأليفه : (جوانب مُضيئة من الشعر العربي) نثرا وشعرا. ففي النثر قال : (مع أطيب آيات الودِّ والإعزاز والإكبار إلى الزميل المجمعي علامة المغرب الأستاذ الكبير عبد الله گنون رمز محبة وسمة تقدير) وفي الشعر كتب :

يا حَسَني هذه — هدية من حسن
أهديتها خالصة — من حسن لأحسن
علي بها أجزي أيا — ديك الحسان علّني

ثم الامضاء والتاريخ.

وقد أجبته عن الشعر بقولي :

هدية سنيّة — من السُّني حسن
أبقى على الزمن من — بقاءه هذا الزمن
منّته بها علـ — ـيَّ فوق كل المنن
إحسانه فيها ذرى — بحسن وأحسن
وشكره مما يضيـ — ـق به لفظ المحسن

وأهداني كتاب "العقاد وقضية الشعر" من تأليفه وتأليف : د. محمد عبد المنعم خفاجي، وعامر محمد بحيري، ود. عبده بدوي، ومحمد طاهر الجيْلاوي وكتب عليه هذه القطعة :

ها هنا العقاد قُمنا خمسة ... نعرُض الخالد من آثاره
قد تناولنا زوايا رجُل ... يجب التفكير في أفكاره
فهو والله تراثٍ وإن ... غلبَ التجديد في أشعاره
إثره الجِدَّة في البحث ولم ... يُغفل الماضي في مقداره
من لنا اليومَ بمن همُّهم ... أن يُزيحوا الترب عن أطماره
أنت أولى بالذي حررتُه ... عن دهاة الفكر أو أحراره
فابن كنون له في خاطري ... موضعٌ لم أغل في إكباره
فهو في المغرب من أعلامه ... وهو في المشرق من أنصاره

القاهرة ربيع الآخر 1402 25 فبراير 1982

محمد عبد الغني حسن

وقد أجبته عنها بهذه الأبيات :

ظفر العقاد منكم بالألى ... عرفوا الشامخ من أقداره
فجمعتُم بين تجديد له ... وتراث كان من أنصاره
وحكمتم أنه في ذا وذا ... قمة تدعو إلى إكباره
أين فينا اليوم من يُشبهه ... في كلا الفنين من آثاره
أين إمتاع له في نثره ... أين ذاك الفلقُ في أشعاره
إنه مدرسة من عبقر ... فسلوا عبقرَ عن أخباره
وبودي أنني شاركتكم ... في اجتلاء النور من أقماره
إنني قد كنت من صفوته ... ولكم نافحتُ عن أفكاره
فلتجد مرقدَه غادية ... طيبُها يعبُقُ من أقطاره

وأهداني أيضا كتابه «ديوان النيل» وهو قصائد مختارة من الشعر المصري والسوداني وكتب عليه نثرا وشعراً ما يلي :

إلى الصديق والزميل علامة المغرب وريحانة المشرق الأستاذ عبد الله كـنـون :

هذه الأصداء فيها نغَمٌ — من بقايا الخُلد في أرض الخلود
يحمل "النيل" إليكم عطرها — من ضفافيْه على الواد السعيد
لي فيها نفحة دوّبتها — لك في حبٍّ قديم وجديد

وقد كان جوابي عنها هذه الأبيات :

يارعى الله إخاء زادني — غبطة فيه طريف وتليد
من مودّات وألطاف وما — نسجَت صنعاء من أبهى البُرودُ
ونُسيمات من النيل سَرَت — سَحَرا تُنعش أنفاس العميد
ميّز الجيِّد من زائفها — صَيرفيٌّ حسن النقد سديد

عبد القادر المقدم

الأستاذ عبد القادر المقدم أديب شفشاون وشاعرُها الفذ ظهرت ملامح نُبوغه مُنذ كان تلميذا في معهد مولاي المهدي بتطوان، وخاطبني إذ ذاك بقصيدة مطولة يقرِّظُ فيها كتاب النبوغ المغربي وكان قد صدر في تلك الأيام. ولا غرور فإنه كان يمثل الطبيعة الشفشاونية بما تحمله من إثارة فنية وروح شاعرية مما حمله المهاجرون الأندلسيون إلى هذه المدينة الحالمة. وتقدم المقدم وهوايته الأدب والشعر والفن، واشتغل بالتعليم بالمدارس الحُرة ومنها المدرسة الاسلامية التي أنشأتُها بطنجة. وتخرج على يديه أفواج من التلاميذ الذين كوّنهم تكوينا متينا لا يُنكرون فضله إلى الآن.

ثم اشتغل بإذاعة طنجة فظهر أثره على أعمالها الأدبية وبرامجها الثقافية. ولا يزال ذلك الأثر يلوح في نقاوة لُغتها وصحة تعبيرها وكذلك تقدم إنتاجه الشعري فنظم القصائد المطولة التي شارك بها في عدة مُلتقيات بالشرق والغرب وظهر له أول ديوان شعر بعنوان : "لمحات الأمل" منذ أكثر من ربع قرن.

وهذه قصيدة مما خاطبني به من شعره الذي يجول فيه جولات ولا يقصره على الموضوع الذي قيل فيه كالمدح مثلا فإنه يُلمُّ به إلماما ثم يفيض محلقا في الأجواء الشعرية التي يطيبُ له فيها القول وذلك من قوة عرضته واتساع ثقافته وقد هدف بها إلى تقديم ديوانه المذكور، وفعلا كتبتُ له مقدمة كانت موضوع عناية من الصحافة الأدبية التي علقت عليه(87):

يا من يراعتُه كالسيف تُمْتَشقُ ... ومن بداهته للغيب تستبق
سيف البراعة أم رمح البلاغة أم ... ذرع الأناقة هذى جئت تنتطق
أثرت كل نهوض بات مُختبئا ... أضحى "نُبوغُنا"(88) له الألباب تعتنق
ضمّنته كل آيات مبيِّنة ... وصُغته مُشرقا كأنه الفَلَقُ
أبنت عن سر مكنون طَوته يد ... سوداء من الجهل تُضنيه فيختنق
أعدت مجد أناس كان خصمهم ... يدعوهم هملا جهلا ويختنق

مــا ذاك إلا دعــا خــصـم تَناقله عن باطل، فـهـو مـزعـوم ومُـخـتلق

رعى الإلاه لُوَيلات طربتْ بهــــا بين المـلاح ودوحُ الروض مـخـتلقُ

خلعتُ عني عـذاري غـيـر مُـبتئس وبتُّ مـع من أُجِلُّ الليل أعـــتنق

بتنا معـا نتساقى الحب مُمتزجا مع الســـرور فـــذا خط وذا ورق

فمـا انحنى قَـمَرُ الزرقا على أفق حــتى أضــأنا فـدا بدر وذا أفق

وكل ذاك واللاحــــون في شُـــغُل وشمل "بيني" مـدى الأيام مُـفـترق

وكـان مـمـا تسـاقـينا على ظمـأ تلك الفـصــول يحلو بهـا الأرق

مما انتها لي لصهباها صحوتُ بها فصـرت أدري وشمس الفكر تأتلق

وهذه "لمحات البِشـر" قد ظهـرت فـهل يروق النهي من نظمـهـا نسَق

أودعـتـهـا زفـرات كنت أسـمـعـهـا بين الضلوع إذا مـا بِتُّ أحـتـرق

وبحت فـيـهـا بسـر كـان مُكتـتمـا وكم أغـــالبُـــه كُـرهـا وينبـــثق

* * * * *

يا واعيَ السر إن الصدرَ مـمتلئ فـمــا عــلاج الذي نجــواه تنطلق

قد كَلَّ صبري من حال شقيتُ بها فمـا اصطِبـاري الذي ينتابه القلق

الأرض ضـاقت فـهل في اليمِّ مُتَّسَعٌ إذ ليس لي في السمـا ريش ولا نفق

* * * * *

ليس يُدرَكُ مـــأمــول على عــجل كــلا، ولكن بعض النصـر يتـفـق

قــضــيت دهراً طويلا في تطلبـه مــثــابرا وهو ذاك النافــر الأبق

بذلـت كل عـــــزيز فـي تـودده فلم يلن جـانبـا والصـخـر ينفلق

قـاسـيت أمـرا وأضناني تلَوُّمُـه فلم يبِن منه لا نجـم ولا شـــفق

* * * * *

قطعتُ وصلا قضاهُ العدل حيث قضى ربي به ولدَيه الظلم يمـــتـــحقُ

بالله يا مــمــعنا في الصـدِّ لمَّ بنا شـمْـلا فـمـا بيننا غلٌّ ولا حنَق

لعل مـا بات ملفـوفـا يخـالطه روحٌ من النشـر مـخـتـوم له عَـبق

واستبق في منحنى الأحشاء من أمل أقل مـا يرتجـيـه اليـائس الفَـرقُ

مـهـمـا تناهى جَـميـل في مناعَـتـه فـبـعض سـاعـاته يدنو فـيلتـحق

إن كـان مـا أرتجيـه منكم أمـلا فمـا اقتـضاء رجائي منكم حُمق
فـرصّعـوه بمـا جـادت قـرائحكمْ به عـسى "لمـحات" البِشـر تتّسق
من لي بهـا دِرّةٍ في جَيـدِه بَزغت بعـجرها يمحي عن أفقـه الفَسَق
ويجـتلي ظَبْـيـة حَوْرا مـهـفـهـفـة تنقـاد نحـو بَهاها النفس والحَدَق

وهذه مطولة أخرى خاطبني بها عند عودتي من السعودية عام 1398 بعد مشاركتي في اجتماع المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي وأداء مناسك الحج، وجعل عنوانها : «إن الهوى في الله خير شعار».

تسمـو النفوس بعِشـرة الأخيـار ولكمْ أقـالوا بالسـمـاح عِـثـاري
سرٌّ الفضيلة في الجَمال، كسِره في روحِـهـا يبـدوا على مـقـدار
والسـر في ليل الحـقـيـقـة إنه بجـمـالِـهـا مُـتـضـمن لنهـار

* * * * *

تالله مـا أبغي بمـدحك عـارضـا لكنه فـيـض من الإكـبـار
مـبناك نلمح فـيـه سـر فـضـيلة ومن المـعـاني فيك "حسن نجار"
إن المـحبَّ إذا تسـامى حـبُّـه بلغت به الأحـوال خلع عـذار
مـا زلتُ أجـني من نداك وروده من قـبل أن وافت "سناء غـفـار"
ولئن تصـرّم بيننا حـبل اللقـا فـالبـال عندكم نزيل الدّار
يأبى الوفـاء تغـاضـيا عن شـأنه في سَـوْرة الأشـغـال والأعـذار

* * * * *

لا زلت في دنيـا المـعـارف مـؤئلا كـالنبع، مـوردُه غـزير جـارِ
تغـدو نواميـهـا وترعى غـرسـهـا وتـعـدّه للظل والأثـمـار
وتطيـر من قطر لآخـر رابطا بالفـضل بين مطامح الأقطار
صوت التُّقى يدعو المدائن والقرى لمـحـجّـة تزدان بالأنوار
تدعـوك مكة لاحـتـضـان حـافل وكـأنك المـخـصـوص بالإيثـار
وجـزاء من يرعى التُّـقى أيامـه منح الوِصـال بهـالة الأقـمـار
وإذا تمكنت التّـقى من فـاضل فـالكون مـرتَعُ ركـبـه السـيـار

للناس بيت يحتمون بظله / وثواك الأحضان بالأمصار
بيت يسيح العقل في أرجائه / بيتا يُواكبُه خيال سار

* * * * *

وأجلّ فيك شمائلا منها الوفا / في أوجه وسماحة الأبرار
ما كان من شأني التنائي عنكم / لولا التفاوُق في مدى الأقدار
والبحر أهواه وأعرف فضله / وأهاب ما فيه من الأخطار
من إين لي عِلمٌ بسر طباعه / والبحر بحر وهو ليس بداري
حتى إذا ما جئتُه مستأنسا / ألفيّتني في عَالم موّار
وأنا لفي شط له سُمّارُه / باللجى من حكمة السمار
ولكل من ألِف السُّرى مُتدارك / يهدي خُطاه في دُجى الأسفار
وتعن أسباب تحثُّ مطيتي / من حيث لا تقوى على تسْيار
وينالني منها اكتئاب وهي في / بلْوائها تهفو لأي مُزار
وتَرى قُصارى التنقل علّه / يُفضي لتخفيف من الأوزار
الوهم أحيانا يُداري علة / بيْنا يُثير كوامن الأوطار
وصنعتُ حظي من نسيج توهُّم / يختال في برد من الأزهار
غانيت في إخراجه متألقا / فيما يُضارع باقة الأشعار
وعرضت منه نماذجا، فتخايلتْ / أو قد تراءت بهجة الأنظار
هذا إذا الذوق الرفيع أنالها / حظا يُتيح لها جوازَ مسار
فاسمح برأي أنت باري قوسه / تَشدُدْ به أزري يقرُّ قراري
من بات في قوم غريبا فليكن / مُتزودا برعاية الأخيار
بلَغَت مداها لوعة الشوق الذي / يهفو لذات محاسن وسوار
فضلي تفيض سماحة ونباهة / وطهارة، بسريرة وأزار
وتكون للإلهام زيت سراجه / تذكيه، توقُّد شُعله الأفكار
تلقي إليه من ملامح حُسنها / معنى الحياة ونغمة القيتار
هي من كرائمك الحسان لعلها / تُغني وتُعلي من مكانة داري
ياما أغارُ وللهوى أطوارُه / لا أستسيغُ تزاحم الأغيار
أهوى انفرادا في اللقا متناغما / حتى أراني فيه غير مُواري
حبي "سناك" قد تجاوز حدُّه / فاسأل هُيامي "يا أباها الداري"
غُرمُ المتيم جهل ما يهفو له / أفما سَبرت متاهة الأغوار

والحُسنُ تنجذب النفوس لُبابه ... وتصونه الألباب بالأبصار
والعاشق الولهان يُنكر شأنها ... ويُدافع الأبصار بالأسوار
"فسناء" ذات تمنع وترفع ... وتطلعات بالحياء قُصار
ولها فنون في العطاء كثيرة ... غير الوصال يُصان للمختار
فبهاؤها وذكاؤها وعبيرها ... ممنوحة للرائد "المختار"

* * * * *

يا طالما طوَّفتُ بين خمائل ... وخرائبٍ ومدائن وصحاري
وحوالك الساعات تدرين الهوى ... مما خَبَرتُ وبتُّ جدُّ مثار
ونواهد استمعتُهن لواعجي ... وعرَفْن ما مثواي في الأحرار
وقضيت حينا بينهن كأنني ... طيب الورود يصوغ في إصرار
أو أنني مما أكابد من جوى ... قُطر الندى يحكي دموع "هزار"
وأذوب في أنسام حُبي غائبا ... عني بما في الحب من أسرار
ولو أن ما بي قد عرى متبتِّلا ... لرأيتُه يشدوا مع الأطيار
قد بعتُ قلبا بالمظاهر مُغرما ... وشرَيتُ قلبا للجمال يُداري
عقلي تجاوز ما سبى جُلَّ الورى ... من تافه الأحلام والأوطار
هم يرخّصون نفوسهم في سوقها ... يبغون منها سلعة للشاري
يُعطونها عِوضا لكل طريفةٍ ... في معرض اللذات والأسمار
إذ يحسبون العيش سوق مناهم ... فيها تساوَم فُرصة الأعمار
وهم يرون العمر حَفلا ساهرا ... ما الشأن بعد الموت للأعمار
ما عاد من تحت السرى مُتغيب ... بحقائق الأنباء والأخبار
وإذا تأكد ما يقال عن اللقا ... في الحشر كانت رحمة الغفار

* * * * *

يُمسي ابن آدم ما تحمل جده ... يوم السجود لحكمة الجبار
ابليس يعلن أنه ... خير... لما في خَلقه من نار
والتُّربُ دون في الخليقة ما له ... حظٌّ من التشريف في الأنفار
من خيرة الثقلين وهو نقيبُها ... ولذا توعَّد بانتقام ضار
من كل من ينمى لآدم نسله ... لا شيء... غير الكيد والأضرار
ولقد تجند باهتمام فائق ... يفتن في الإغراء والإنذار

والظنُّ منهم صادق في حقهم إذ ناله ما شاء من فجار
إلا قليلا آمنوا.. إذ أيقنوا ماذا تكون عواقب التذكار
ما كان يحكم في رقاب جنوده لولا تعشقهم للإستنفار

* * * * *

ديني وحبي أمسيا أنشودة ممزوجة الألحان والأوتار
يا من له العلم اليقين بطبه هل بعد هدى الحال من أطوار
بُرءُ الهوى في دائه وبلاؤُه فيما يرام له من الإقرار
لما علمت القوم حادوا في الهوى عما الهوى يقضي به في العار
أيقنت أن لم يعرفوا بعد الهوى "إن الهوى في الله خير شعار"

وقد أجبته عن هذه القصيدة العصماء بهذه الأبيات :

إيه أبا نصر رعاك الباري برعاية الأخيار والأبرار
وجزاك بالإحسان خير جزائه ورعاك في ورود وفي إصدار
هذي قوافيك البديع نِظامُها ؟ أم سِمطُ دُرٍّ أم شذور نضار
حلّيتني منها بأجمل حِلية وجعلتني أزهو بتاج فخار
لله درُّك من صناع مبدع وقريع نظم بارع ونثّار
وحليفُ درس ممتع ومُناظر مُتمكن ومُنافس ومُبار
أبقاك ربُّك للثقافة مَعْلما ولكل فضل فارسِ المضمار

عبد القادر الشاط(89)

الأستاذ عبد القادر الشاط من نوابغ طنجة ومُثقفيها المتمكنين من معرفة اللسانين الفرنسي والعربي، درس الفرنسية دراسة منتظمة إلى أن بلغ فيها شأوا بعيدا، أما العربية فقد درسها بالإعتماد على نفسه ومجهوده الخاص، إذ كانت المدرسة التي أنشأها الاستعمار لا تعطيها أية أهمية ولا سيما هنا في طنجة، وفي الأيام الأولى لإنشاء هذه المدرسة، وأصبح الأستاذ الشاط من التراجمة الممتازين بفعل نشاطه هذا وكتب بعض المؤلفات إلى جانب ديوان شعري. وهذا نموذج من شعره خاطبني به حفظه الله :

خـذن عِلمِ عـزٌ مُـدركـه ... ينتـشي بالعلم يسـبأه
باحـثـا فـحـواه يَدرسُـه ... مـمسكا طِرسـا يهـيِّئـه
مُنذحـين صـار يكتـبـه ... وكـثـيـر الناس يقـرأه
وصِلـة الأعـلام ديدنُـه ... قـد يرى رأي فـيـرفْـأه
مُـنزو لا حـيـث يُنكره ... لا ولا مـعـلاة تشـنأه
هو عـبـد الله نعـرفـه ... بسـلام الوُدِّ نبـدأه

* * * * *

سكُ سـمـعي أن دعـاغـدُه ... مـبـضـعـا للداء يدرأه
فـخـفـيف الداء يُقلعـه ... لا يضـر العـقل منشـأه
في سـبـيل الله مـوقـعـه ... في سـبـيل العلم مـربأه
ثُم سليم الجـسم تحـرسـه ... ثـم لـطـف الـلـه يـكـلأه
دابر الأعـلام تقطعـه ... وقليبَ العـفـو تمـلأه
فـتـملُّ العـمـر مُنسـأه ... لك في عـزٍّ تبـوّأه

طنجة في 30 مارس 1970

خاشع الراوي

الأستاذ خاشع الراوي شاعر مبدع من شعراء العراق اللامعين، لقيته في بغداد وأنشدني بعض أشعاره التي أعجبتُ بها لعُلو نفسها، وصفاء ديباجاتها فأهداني ديوانه الذي يحمل عنوان "مع النفس" فشكرته بهذين البيتين :

خشعتُ لشعرك يا خاشع ... فلله ديوانك الرائع
ظللتُ لمحرابه عاكفا ... كما يعكف العابد الطائع

من بعض قصائد هذا الديوان(90) :

ينتاب نفسي على أوطاني القلق ... فيعتريني الأسى والهمُّ والأرق
كم أستشيط إذا ما مسها نكد ... حُزنا وعندي فؤاد كله حُرق
نوَت شجيرات بستان نعِمتُ بها ... وقد تساقط من أغصانها الورق
جلا نسيم الصبا عنها فبارحها ... وكان ينعش قلبي ريحها العَبق

* * * * *

آها بلادي وللدنيا مصائبُها ... تشابهَت للمآسي نحوك الطرق
أمْسَى ينازعنا فيك الغريب على ... حياتنا وهوجان طائش نزَق
داست على حرمات الشعب أرجلُه ... مُستنصرا برؤوس دأبها المَلَقُ
ومن صروف الليالي أن نرى بلدا ... قد بات يحكمُه من جاء يرتزِق
ولست أدري وليل الظلم مُعتكر ... متى نفيق وهل فجر سينبثِق
أكُلّما فُكّ طوق الذل من عنق ... تمد منّا لطوق مثله عنُق

محمد اللواح(91)

أديب بارع وأستاذ لامع من مدينة أصيلا المنجاب، عرفته وهو بمعهد مولاي المهدي طالب نابغة، وبعد تخرجه اشتغل أستاذا في بلده، وما يزال إلى الآن يتعاطى التدريس بها، وينظم الأشعار البليغة، ويشارك في التجمعات الأدبية بفكره وإنتاجه الجيّد، مما ينمّ عن نشاطه الثقافي الملحوظ مع كونه ضريرا، ومما خاطبني به هذه القصيدة العصماء وقد زارني في مقر المجلس العلمي الإقليمي بقصر مرشان بطنجة :

ألمّ قلبي من لُقاك سرورٌ — فهنِّئت نفسي واللسان شكور
رأيتك والأقمار أنت ذكاؤُها — فلولاك لم يسطِع للألائها نور
وفيك من الأخلاق ما يُبهِج التقى — وتكبره في العارفين صدرو
تهادت بها الأنسام في سحر الدُّجى — وفاض بها عبر النفوس عبير
معارف شتى والنبوغ يلمُّها — زواهرُ تستهوي النُّهى وزهور
لك القلم الماضي إذا انتهك الهُدى — يروعُ له في الحق منك صرير
وشأوُك في الآداب صعب مُرامُه — وما لك في عِلم الكتاب نظير
أجلُّ الذي وافى المُريدون ساحه — وأكرَمُ ما تأتي الوفود تزور
وفخر بني كنون رأس بحاره — طويل المدى في الخافقين كبير
مديحي عبد الله فيك قد ازدهى — ورقٌ بصافي الودِّ منه شعور
فدونك شعرا خام عنه فرزْدق — ولو عاش لا يقوى عليه جرير
فمجلس أهل العلم أنت جلاله — حريٍّ بما يُعلي الرئيس جدير
وأنت عماد الدين في كل معضلٍ — تسير على هُدًى لديك أمور
سرَرت رسول الله في مسجد الرضى — وحيًّا قبور الراشدين حبور
فهذا ثنائي عن ودادي مُعرب — وإني زاه بالوداد فخور

زهـــيــر الــزاهـــري

عالم جزائري فاضل ولد بقرية ليانة (بسكرة*) حوالي عام 1908 وحفظ بها القرآن وتتلمذ على أحد أقاربه وهو عبد الرحيم الزاهري، ثم الشيخ العُقبي ثم الإمام ابن باديس. ثم الزيتونة بتونس ودرّس بقالمة* وعنابة * وصار إماما بالقل* وقالمة* حتى سنة 1956 حيث انتقل ثانية إلى عنابة، وعمل بعد الاستقلال بمفتشية الأوقاف، ثم أستاذا بثانوية الشيخ مبارك الميلي وحصل على التقاعد عام 1973 زارني في منزلي في طنجة يوم 9 - 9 - 1973 وأخبرني بوفاة الشيخ النُّعيمي رحمه الله عامه.

ومما حلاّني به قوله :

لما اجتمعت بشيخ العلم والدين ... بسيدي الشيخ عبد الله كنون
حمدتُ ربي حمدا لا يمازجه ... شِركٌ خفيٌّ بقلب غير مفتون
والزمزميُّ زعيم المُصلحين بها(*) ... لكنني أكره التشديد في الدين

فأجبته :

شكرا زُهيرُ جزاك الله عارفةً ... ودام فضلك في علم وفي دين
لزُرتنا وأفدنا من زيارتكم ... فنحن أولى بحمد غير ممنون

(*) - إشارة إلى الشيخ العلامة محمد الزمزمي بن الصديق الغماري المتوفى عام 1408 وهو صاحب زاوية خاصة بطنجة.

هوامش وتعليقات

(1) - ولد بالرباط سنة 1307هـ وتلقى تعليمه بها، فنبغ في علوم عديدة، ونظم الشعر.

انظر ترجمته في أعلام المغرب العربي، لعبد الوهاب بن منصور، الجزء الأول ص : 271 المطبعة الملكية بالرباط 1983 .

(2) - كان ذلك في تاريخ 10 صفر الخير 1390 هجرية موافق 1970 ميلادية.

(3) - من أدباء طنجة المشهورين أتقن إلى جانب اللغة العربية الفرنسية ونظم الشعر سليقة، وألف رواية مسرحية. توفي سنة 1352هـ 1931 م.

انظر أخباره وأشعاره في بحث للأستاذ عبد الصمد العشاب منشور بكتاب : «طنجة في الآداب والفنون» تحت عنوان : «الحياة الأدبية في طنجة 1900 - 1950» ص : 16 الدار البيضاء 1992 ، منشورات كلية الآداب الرباط.

(4) - كتاب صدر للشاعر في طبعتين الأولى بالمطبعة المهدية بتطوان والثانية بدار الكتاب اللبناني عام 1975 جمع فيه مجموعة من مقالاته وأبحاثه الأدبية وكلمة "أديبان" المشار إليها هي عنوان مقالة قارن فيها بين حياة وإبداع الرجلين : محمد بردقة ورشيد مصوبع. انظر الكتاب ص : 117 .

(5) - الشيخ رشيد مصوبع اللبناني الأصل، أديب شاعر، له ديوان سماه "الأثر" زار المغرب ومدح جلالة الملك مولاي يوسف. توفي بالبيضاء في العقد الثالث من هذا القرن. وهو القائل :

أنا شاعر الدنيا بغير تقنُّد ... فلا شاعر قبلي ولا شاعر بعدي

(6) - كان يصدرها بتطوان الشيخ محمد داود ابتداء من سنة 1933 .

(7) - هو شكيب بن محمد بن يونس أرسلان ولد سنة 1869 ومات سنة 1946 قضى ستين سنة في كتابة النثر ونظم الشعر الرائع. انظر كتاب : "أمير البيان شكيب أرسلان" لأحمد الشرباصي.

(8) - وهي السنة التي زار فيها الأمير أرسلان المغرب، حيث حل بطنجة في شهر غشت.

(9) - لعله يشير إلى جمال الدين الأفغاني رجل الاصلاح والثورة على الظلم، سعى في تحرير بني جنسه من خلال دروسه وكتاباته وأحاديثه. ولد سنة 1839 وتوفي سنة 1898 انظر ترجمته وأخباره : بتراجيم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر لجرجي زيدان.

(10) - ولد بمراكش عام 1318 هـ ووجهه أبوه بادئ الأمر إلى حفظ القرآن والمتون ثم عكف على الدراسة بكلية ابن يوسف ثم القرويين. وكرس حياته للشعر والأدب.

توفي سنة 1955 وفي سنة 1958 تكونت لجنة من مثقفي مراكش لجمع شعره ونشره.

انظر أخباره بـ "شاعر الحمراء في الغربال" لمحمد الشرقاوي إقبال.

(11) - عبد الله بن الهاشمي الوزاني من أهل العلم، لم يتيسر له أن يتلقى دراسة منتظمة ولا غيرها، وإنما اكتفى بتنمية معارفه عن طريق المطالعة، كان شاعرا موهوبا يبتكر المعاني وينشد في مختلف الموضوعات.

توفي عن سن عالية سنة 1943م.

انظر أخباره ونماذج من أشعاره في بحث للأستاذ عبد الصمد العشاب بكتاب "طنجة في الآداب والفنون" ص : 12

(12) – هو سحبان بن وائل عجلان الباهلي من خطباء العرب وفصائحهم، يضرب به المثل في البيان، يقول الجاحظ : "والعرب تذكر من خطب العرب... «الشوهاء» وهي خطبة سحبان وائل وقيل لها ذلك من حسنها وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب" .

انظر الأعلام الجزء الثاني ص : 123.

(13) – هو قس بن ساعدة أسقف نجران وخطيب العرب وحكيمهم في الجاهلية، كثير السجع والأمثال، حنفيا فصيحا توفي نحو سنة 600م.

انظر الأعلام الجزء السادس ص : 39

(14) – سبقت الإشارة إليه.

(15) – كانت العادة أن يحتفل الطلبة مع شيخهم بمناسبة ختم كتاب من الكتب أو علم من العلوم، وقد يقيمون وليمة بالمناسبة.

(16) – منشورة بكتاب "الشرف المصون لآل كنون" للقاضي عبد الله حشلاف ص : 37 الطبعة الأولى 1352 هـ، مطبعة الإستقامة.

(17) – هو الشيخ عبد الصمد بن التهامي بن المدني كنون، ولد بفاس وأخذ عن والده وعن ثلة من علماء القرويين، ثم جلس للتدريس هو وأخوه محمد بن التهامي. ولما انتقل إلى طنجة واصل عمله إلى أن وافاه الأجل مساء يوم السبت ثاني ذي القعدة عام 1352هـ.

انظر ترجمته بكتاب : "مواكب النصر وكواكب العصر" للشيخ محمد بن عبد الصمد كنون الحسني ص : 4 طبعة 1400 مطبعة سوريا طنجة.

(18) – أبوه هو الشيخ التهامي بن المدني عالم الفقه والحديث والتفسير والمنطق والبيان، له شرح البخاري ومسلم وشرح الموطأ وغيرها من الشروح والمؤلفات توفي عام 1331.

انظر ترجمته بكتاب "الشرف المصون لآل كنون" ص : 24.

أما جده فهو الحاج محمد بن المدني كنون صاحب القدم الراسخة في العلم. انظر ترجمته بالكتاب السابق ص :21.

(19) – إشارة إلى الشيخ المهدي الوزاني.

(20) – يشير إلى اليوم الذي وقع فيه الختم المحتفى به وهو يوم الأحد17 شوال 1341 .

(21) – أحمد بن قاسم المنصوري الدكالي الشاعر المؤرخ من مواليد مكناس حوالي سنة 1316م وفي سنة 1333 توجه نحو فاس للنهل من ينابيع العلم، فحصل على إجازات العلماء، وتوطدت صلته بالشيخ أبي شعيب الدكالي وزير العدلية والمعارف آنذاك فنصحه بالتوجه نحو مدينة واد زم للتدريس بمسجدها وخطبة الجمعة به وابتداءا من سنة 1930 تقلب في وظيفة القضاء بعدد من جهات المغرب.

(22) – مثل عربي

(23) – صحيفة للدعوة والتجديد أسسها الأستاذ عبد الله كنون سنة 1962 للتعبير عن آراء رابطة علماء المغرب واستمر في إصدارها إلى 16 ماي 1989 حيث صدر آخر عدد تحت رقم 584 والرجل يعاني إذ ذاك من مرض مزمن.

(24) - ولد بقرية القصيبة سنة 1311 وتلقى تعليمه بالمغرب ثم بالخارج. وكان داعية إسلاميا كبيرا، استقر مدة في باكستان وألمانيا والسعودية والهند ومصر، وامتاز بقوة الحجة وسرعة الإقناع وفصاحة اللسان. له عدة كتب في الدعوة إلى الله والثقافة والأدب.

توفي بالدار البيضاء يوم الاثنين 25 شوال 1407 عن سن عالية.

(25) - مؤرخ المملكة المغربية ومؤلف أعلام، وقبائل المغرب، وعصر المنصور الموحدي وغيرها كثير من كتب التاريخ والتراجم. جاهد بالقلم في حظيرة جمعية العلماء الجزائريين وأشرف بتلمسان على إصدار مجلة "العبقرية" وذلك في مرحلة الشباب، وشارك في العمل الوطني بمنطقة الشمال.

(26) - هو مالك بن المرحل السبتي موطنا، ولد بمالقة عام 604 وتوفي عام 699 أما القصيدة المشار إليها فمطلعها :

سلامٌ على سبتة المغربِ أخيّة مكة أو يثرب

انظر "ذكريات مشاهير رجال المغرب" عبد الله كنون الحلقة الثامنة

(27) - هو محمد بن العياشي سكيرج الفاسي الدار الطنجي القرار، من أهل العلم والأدب، توفي في رابع محرم 1385 ترجمته بمواكب النصر وكواكب العصر للشيخ محمد بن عبد الصمد كنون الحسني. ص : 58

(28) - من مواليد فاس 1335 - 1917 ومقيم طنجة، نبغ في الأدب واشتهر بالشعر. نشر ديوانا له بعنوان "حب الحصيد" وفي الصفحة 96 نقف على القصيدة المشار إليها ومطلعها:

عجبت وإن كنت لم أعجب أبيٌّ أبى أن يجيب أبي

(*) - أحياء وأماكن بطنجة، فالأول حيٌّ بأعلى المدينة، والثاني شاطئ من شواطئها، والثالث حيٌّ بالجبل، والرابع مكان مطل على البحر... الخ.

(29) - إشارة إلى خروجه من فاس وهجرته إلى طنجة، وذلك عندما فُرضت الحماية الأجنبية على المغرب، وكانت نية أبيه أن يهاجر إلى المدينة المنورة فمنعته ظروف الحرب العالمية الأولى دون تحقيق تلك الرغبة، الأمر الذي أدى إلى استقرار الأسرة الكنونية بطنجة سنة 1914.

(30) - إشارة إلى المعهد الإسلامي الذي أسس بطنجة سنة 1945 وتولى إدارته حتى سنة 1953

(31) - هي المدرسة الإسلامية الحرة للبنين والبنات، أسسها سنة 1936 وتخرج منها كثير من مثقفي طنجة.

(32) - يريد كتاب "النبوغ المغربي في الأدب العربي" الذي أرخ فيه الشاعر للأدب المغربي. صدرت طبعته الأولى بالمطبعة المهدية بتطوان في جزءين سنة 1936، والطبعة الثانية بلبنان في ثلاثة أجزاء سنة 1961، والثالثة بلبنان أيضا سنة 1974.

(33) - يريد "ذكريات مشاهير رجال المغرب" وقد صدرت للشاعر على شكل حلقات تهتم كل حلقة بشخصية علمية أو أدبية. صدرت الطبعة الأولى بتطوان سنة 1949 من الحلقة الأولى إلى الحلقة 25. ثم الطبعة الثانية بدار الكتاب اللبناني سنة 1974 من الحلقة 26 إلى الحلقة 40 وتوفي رحمه الله وترك تحت الطبع عشر حلقات أخرى.

(34) - يريد كتاب : "مدخل إلى تاريخ المغرب" وهو دروس في تاريخ المغرب صدر لأول مرة بتطوان عام 1944 ثم أعيد طبعه سنة 1958 .

(35) - المقصود : "أمراؤنا الشعراء" وفيه طرق الشاعر موضوعا طريفا، إذ أورد نماذج شعرية راقية لعدد من الملوك والأمراء المغاربة. طبع بتطوان سنة 1943.

(36) - "التعاشيب" كتاب يدخل في إطار اهتمام الشاعر الخاص بالدراسات الأدبية واللغوية والنقدية. جمع فيه مجموعة من الأبحاث والمقالات. طبع مرتين : الأولى بتطوان عام 1367 والثانية بلبنان عام 1975.

(37) - "واحة الفكر" وهو أيضا مجموعة من الأبحاث والمقالات، صدر بتطوان عام 1948.

(38) - يريد : "القدوة السامية للناشئة الإسلامية" وهو كتاب مطالعة لتلامذة المدارس يهدف إلى بث الحماس الوطني الإسلامي عن طريق التذكير بالأمجاد، وبث الوعي الديني عن طريق التذكير. من منشورات معهد مولاي المهدي بتطوان عام 1945.

(39) - وهو "شرح قصيدة الشقمقمية" لابن الونان الشاعر المغربي المشهور. طبع خمس مرات الأولى بمصر سنة 1977 والخامسة بدار الكتاب اللبناني سنة 1979 .

(40) - المقصود كتابه "المنتخب من شعر بن زاكور" الذي صدر ضمن منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو سنة 1942 ثم عن دار المعارف بمصر عام 1965 .

(41) - يريد شرحه على مقصورة عبد الرحمان بن علي بن صالح المكردي المتوفى في عام 807 طبع بمصر سنة 1356هـ.

(42) - كوكب صغير خفي الضوء بعيد يُرى بصعوبة

(43) - يريد كتاب الشاعر : "محادي الزقاقية" وهو دروس في التشريع الإسلامي، صدر بتطوان ثم أعيد طبعه بالرباط سنة 1955، وقد ترجمه الأستاذ بوريس دي بوفنتياف إلى الفرنسية ونشر بباريس سنة 1958 .

(44) - إشارة إلى "مجلة لقمان" وهي دراسة عن "لقمان المشهور بالحكيم". صدر عن المطبعة المهدية بتطوان عام 1945.

(45) - يريد : "فضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين" طبع بتطوان عام 1946، ثم أعيد طبعه بمطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة عام 1982.

(46) - المقصود : "الأنوار السنية في الألفاظ السنية" لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي، أخرجه المرحوم عن مخطوطة أصيلة بالخزانة الكتونية بطنجة، وصدر هدية لمشتركي مجلة لسان الدين سنة 1949. وربما تكون الإشارة أيضا إلى مجلة "الأنوار" التي كان يترأس تحريرها بتطوان عام 1949.

(47) - لعله يوري بامرئ قيس الكندي، الشاعر الجاهلي الفحل صاحب المعلقة الأولى. ولعله يقصد أيضا المتنبي لأنه ولد من أسرة وضيعة في محلة تدعى : كندة.

(48) - يريد أبا فراس الحمداني شاعر الدولة العباسية الذي نشأ في بلاط سيف الدولة بحلب.

(49) - يقصد شاعر بني تغلب عمرو بن كلثوم التغلبي، الشاعر الجاهلي.

(50) - إشارة إلى مالك بن المرحل صاحب القصيدة الأم التي عارضها عبد الوهاب بن منصور.

(51) - إشارة إلى الدروس التي كان يلقيها بالمسجد الأعظم بطنجة سنة 1948.

(52) - إشارة إلى قول أبي الطيب المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

(53) - ناقد وشاعر سوري له دراسات عن أبي العلاء ناقد المجتمع، والنواسي شاعر من عبقر، والمتنبي وابراهيم طوقان وغيرها من الدراسات. من مواليد دمشق 1908 .

انظر ترجمته بالشعر العربي المعاصر تطوّره وأعلامه لأنور الجندي ص 479. مطبعة الرسالة.

(54) - هو محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسني الدمشقي الحنفي المتوفى عام 1072.

انظر نفح الطيب للمقري ج 3 ص 437 تحقيق الدكتور احسان عباس دار صادر 1968.

(55) - المقصود مقاله بعنوان : "رسالة إلى علامة المغرب الصديق القديم عبد الله كنون". السنة 14 العدد 8 ص 68.

(56) - أديب شاعر مبدع، تقلب في مناصب عديدة من مواليد 1301.

(57) - هو محمد بن التهامي بن المدني كنون الحسني من كبار علماء القرويين توفي عام 1331هـ. ترجمته بالشرف المصون لآل كنون للقاضي حشلاف ص 24.

(58) - من نسل الشيخ عبد القادر الجيلاني عالم بالأصول والعربية له كتب في الفقه واللغة من مواليد 1843. وتوفي سنة 1913 ترجمته بالأعلام ج السابع ص 230.

(59) - ازداد في العقد السابع من القرن الماضي بمكة، ثم انتقل إلى المغرب وتقلد مناصب عديدة واشتهر بالشعر إلا أنه لم يصدر له أي ديوان، توفي بسلا سنة 1945.

(60) - منشورة بالحلقة 26 من ذكريات مشاهير رجال المغرب تحت عنوان "ثُمّ صنيعك ومنشورة أيضا بمجلة لسان الدين بن الخطيب السنة الرابعة العدد الثامن تحت عنوان "هون عليك".

(61) - حمّة غرناطة شبيهة بحمّة مولاي يعقوب قرب فاس، توجد على بعد كيلوميترات من مدينة غرناطة، وتتميز بمياه معدنية ذات درجة حرارية مرتفعة.

(62) - العلامة محمد بن العياشي سكيرج القاسي الدار الطنجي القرار، تعاطى الإفتاء في النوازل وتصدر تدريس العلم. وقد سبقت الإشارة إليه.

(63) - كذا في الأصل : ولعله أراد فجد به لنا.

(64) - المقصود كتاب : "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" للعلامة عبد الرحمان جلال الدين السيوطي وكان قد أهداه للشاعر.

(65) - إشارة إلى قوله تعالى على لسان الهدهد الذي غاب مدة عن سيدنا سليمان (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) وهو عذره في غيابه الطويل.

(66) - يشير في هذا البيت إلى السنة بقوله (طع) فالطاء تساوي تسعة والعين سبعون أي (79) وفي الكلمة الأخيرة يُشير إلى نفس المعنى (جاملو) فالجيم يساوي ثلاثة والألف واحد واللام ثلاثون والواو ستة وبجمعها نحصل على (79) أي 1379.

(67) - القصيدة منشورة بكتاب : إسعاف الإخوان الراغبين بترجمة ثلة من علماء المغرب المعاصرين. لمحمد بن الفاطمي السالمي ص 277.

كما نشرت أبيات منها بمواكب النصر وكواكب العصر. لمحمد بن عبد الصمد كنون ص 60.

(68) - الشاعر الأندلسي الرقيق المعتمد بن عباد المتوفى عام 1095 انظر الأعلام الجزء السابع ص 50.

(69) - هو سحبان وائل بن زفر بن إياس.

(70) - زيد الخيل مهلهل بن متمم من الفرسان المعدودين في الجاهلية. الأعلام الجزء الثاني ص 101.

(71) - إشارة إلى عمر بن معدي كرب فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة. الأعلام الجزء الخامس ص 260.

(72) - خطيب العرب قُس بن ساعدة الأيادي .

(73) - إشارة إلى السليك بن عمير، الشاعر الأسود الملقب بالرئبال شيطان من شياطين الجاهلية. الأعلام الجزء الثالث ص 176.

(74) - هو الشاعر المولد المتهم بالزندقة والفجور : بشار بن برد العقيلي المتوفى عام 784، الأعلام الجزء الثاني ص 24.

(75) - من مواليد فاس1913 ومن علمائها المرموقين وأساتذة القرويين المعروفين. رئيس المجلس العلمي الإقليمي بفاس والأمين العام لرابطة علماء المغرب، له براعة في علوم الآلة والدراسة الأدبية.

انظر ترجمته "بإتحاف ذوي العِلم والرّسوخ بتراجم من أخذت عنهم من الشيوخ" لمحمد بن الفاطمي السلمي ص 48، دار الطباعة الحديثة، البيضاء 1978.

(76) - كذا وردت في صنوان. وفي نسخة من رسالة له : (المعارف).

(77) - شاعر مغربي من مواليد فاس1932 تعلم واشتغل بالقرويين ثم ملحقا بالديوان الملكي ثم مستشارا بوزارة الخارجية. له مسرحية شعرية في ثلاثة فصول "المعركة الكبرى" بالإضافة إلى روايات شعرية لا تزال مخطوطة.

ترجمته على غلاف مسرحيته "المعركة الكبرى".

(78) - أبو بكر بن الحسن اللمتوني، ولد بطنجة 1930 وتلقى تعليمه الأول بها ثم رحل إلى المشرق وأتم دراسته بمصر. عاد إلى المغرب واشتغل بالتدريس وأسهم بحظ وافر في الحركة الأدبية بالمغرب له مسرحية شعرية بعنوان "بقيت وحدي". انظر أخباره وأشعاره ببحث للأستاذ محمد مصطفى الريسوني بكتاب طنجة في الآداب والفنون ص 46.

(79) - نشرت بمجلة الأنوار عدد 25 السنة السادسة ص 28 تحت عنوان "سلام"

(80) - من الشعراء المكثرين، يخلد المناسبات الوطنية بالقصائد المطولات، وكان إلى جانب عمله بديوان وزارة الأنباء، يشارك بالنشر في الجرائد الوطنية والمجلات. وأغلب شعره منشور بمجلة دعوة الحق وجريدة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب. توفي بالرباط في متم شهر أكتوبر عام 1993.

(81) - محمد بن عبد السلام الطاهري من مواليد فاس 1314 فقيه عالم مشارك في كثير من العلوم مع تفنن في التوحيد والمنطق والحساب، ومناضل في صفوف الحركة الوطنية وافاه الأجل سنة 1989 ترجمته بإسعاف ذوي العلم والرسوخ لمحمد بن الفاطمي.

(82) - منشورة بجريدة الميثاق عدد 207 ص 4 السنة 16 - 1979.

(83) - يريد "النبوغ المغربي في الأدب العربي".

(84) - " الشاعر "التعاشيب" وهو مجموعة مقالات.

(85) - من علماء المملكة العربية السعودية وأول أمين عام لرابطة العالم الإسلامي، ساهم بقسط وافر في تسيير أمانة الرابطة ثم استدعته الظروف للتخلي عنها عام 1397 هـ.

(86) - من مواليد المنصورة 1907 تعلم في انجلترا وتخصص في دراسة الكتب والمؤلفات، وبرع في قرض الشعر له ديوان شعر سماه "ماض من العمر" وكتب منها : مي : أدبية الشرق والعروبة، الشعر العربي في المهجر... إلخ.

أخباره وآثاره بكتاب : "مفكرون وأدباء" صفحة 233 أنور الجندي الطبعة الأولى.

(87) - القصيدة منشورة بديوانه "لمحات الأمل" تحت عنوان "كتاب النبوغ المغربي" ص62 المطبعة المهدية

بتطـــوان 1948.

(88) - إشارة إلى كتاب النبوغ المغربي.

(89) - من مواليد طنجة 1322 موافق 1904، أصدر ديوان شعر تحت عنوان "برادة اللجين" وتوفي في نوفمبر 1992.

أخباره وآثاره بكتاب "طنجة في الآداب والفنون" ص 16.

(90) - القصيدة بعنوان "آهات..." ص 104 من ديوان "مع النفس" مطبعة المعارف بغداد 1965.

(91) - من مواليد قرية برفراح بضاحية أصيلة . ودرس فيها وفي مدينة طنجة بالمعهد الديني سنة 1950.

شاعر عمودي قليل الإنتاج جيده.

(*) - مديـنـة جـزائريـة.

أشعار

أخرى

المسلمون

هُمُ القوم طال غيابُهمُ
وطال انتظار الورى لهم
تُراهم تعذَّر إقلاعهم !
وعاق الأعادي مسيرهم
أم انقطعت بهم سُبلٌ !
فتاهوا وضلوا طريقهم
أيخبرنا عنهم هُدهدٌ !
ويأتي بعرشهمُ قيِّم
أهمُ فتية أمنوا وغفَوْا !
فهل يُبعث الفتْيَةُ النُوَّمُ
فراغ عظيم أصاب الحياة
بكل مجالٍ خلا منهم
ونكسة خُلْقٍ وفقد ضمير
لنكستهم ولفقدهم
فلا فاتحُ راحمٌ مثلَهم
ولا حاكم عادل كَهُمُ
وما رُئيت بعدهم أمَّة
تسود الفضيلةُ بينهم
ويندحر الميزُ في ظلهم
بجنسٍ ولون وينعدم
فأقْواهم كان أضعفهم
وأضعفهم كان أقواهم
وحسبكم أن اسم الإلا
ه عندهمُ الحقُ حسبُكم
ألا إن يوما تعود به
حكومتُكم لهُوَ الأعظم
يُغبِّر في أوجِه العابثين
بحق الشعوب ويخزيهم
ويُضفى على الأرض ظلّ السلام
فَينفضُ للأمن مُنتظم
وتنعم بالعدل كلُّ البلاد
وتُمحى المظالم والظلم

نهض المغرب

نهض المغرب فانشُرْ يا أثير
إنه يبغي الحياة
وبنوه من كبير وصغير
وطنيون أُباة
لا يهابون الممات
في ميادين الفخار
إنهم جد سُعاة
للعلا أو كلّ منار(١)

(١) - كذا في الأصل.

تحية (1)

ألا طربَ الليل حقَّ الطربْ — وحيَّا السرور وجوه النُّخب
وأشجى الفؤادَ ادكارُ العهو — د، عهودَ ترقِّي ومجد العرب
فهيا بنا يا شباب العُلا — إلى المجد نَمْدُدْ له بسبب
ونحيي مآثر أسلافنا — ونقض لأوطاننا ما وجبْ
أما إننا في المعالي لِداتٌ — وفي المَكْرُمات معا والحسب
فنسعى لإدراك بُغيستنا — ولا ننْثني أو ننال الأرب
كذلك الشباب حديد الجنان — قويُّ المراس شديد الطلب
على رأسه سيفُه المنتضى — وملجأُه في جميع النُّوَبْ
أمير البلاد الرفيع العماد — محمد الخامس المنتخب

بئس الشعور الذي يشقى به الرجل

نفسٌ تنازُعها الآلام والعِلل — فما تكاد بغير البثِّ تشتغل
تظلُّ من صدمة الأحداث في خَبَل — حتى متى هذه الأحداث والخَبَلُ
جنى الشعور عليها في توقُّده — بئس الشعور الذي يشقى به الرجل

(1) – عرفت طنجة الفن المسرحي في العقود الأولى من هذا القرن وأسست بها فرق مسرحية كان هدفها تأصيل الشخصية العربية الاسلامية التي حاول المستعمر طمسها. وكان الشاعر من المؤسسين والمساهمين في تنشيط هذا الفن. وقد حيّا فرقة الهلال التي مثلت رواية صلاح الدين الأيوبي على خشبة مسرح سيرفانطيس سنة 1929 بهذه الأبيات. انظر عبد القادر السميحي "نشأة المسرح والرياضة بالمغرب" ص 99 وما بعدها. مكتبة المعارف البيضاء 1986.

الشـــرق والغـــرب

قال كِمبلج شاعر الإمبراطورية البريطانية يوم كان لبريطانيا إمبراطورية وهو يزيد العداَوة بين الشرق والغرب تأريثا : الشرق شرقٌ والغرب غربٌ ولن يلتقيا، وهذا ردٌ عليه :

لا وأنّى لهــمــا يلتــقــيـان ... وهمــا في جــفــوة منذُ القــدم
ســـوء ظنٍ عنه لا ينثنِيـــان ... أبدا ثمّت خـــفـــرٌ بالذِّمم

* * * * *

عُــقــدة الجنس لدى الغــربيِّ لم ... تُبْقِ للُّقــيــا مــجــالا يحــتــمل
يتــعـــالى فـــيــرى كلَّ الأمم ... دونه حــتى ولو كـــانت مـــثل

* * * * *

ولقـــــد زاد غُــــرورا وصَلَفْ ... بامــتــلاك التــقنيــات الخطرة
ومــضى في عنفــه يبـغي التلف ... للمــعــاني والمــبـادي الخـيِّــرة

* * * * *

هَمُّــه البطش وتحطيم الشــعــوب ... وتحــــدي قـــدرة الله العظيم
أي قُـــــرْب مـع هـذا أو دُروب ... للتـــلاقي مع شــيطان رجــيم

* * * * *

ليس للشـــــرقيِّ إلا أن يعـــود ... منه بالله صــبــاحــا ومــســا
ليس لـلشـــــرقـيِّ إلا أن يلـوذ ... بالذي يمنعــــه مــمن أســـا

* * * * *

ويكُف الشــــر عنه ويرِى ... قـــوة من نفـســه للمــعــتـــدي
فـــبِـــذا يَرهبــه من يجــتـــري ... وبذا يرغب فــيــه المــجــتـــدي

* * * * *

أيهــا الشــرقيُّ لا ترضى الهُــوينا ... في المــعــالي وأْو للركن الشــديد
لا تـقـل أيـن طـريق الـنجـع أيـنـا ... واخـتـرِقْـهـا أنت بالعـزم الحـديد

لا تظن الغــــرب يُعطي يده　　للذي لا يتـــحـــدى سطوته
طالمـــا الغـــرب يَقـــوي جُنده　　فــاجــتــهــد أنت لتــرْدي قــوتَه

* * * * *

عَــرف العـــالم إلا المـــغـــرب　　أنـه يمنـى بجــــهــل مُطبق
أدركــوه يا بنيــه واكــتــبــوا　　بدمِ القلب اسـمــه لا يمــحَقُ

* * * * *

إنمــا المــغــرب في الدنيا عرينٌ　　لمن استـضـعف من هذا البـشـر
فليـــــدم في منعـــة ودين　　يتــوخّى دائمــا دفع الضــرر

تحيـــة لشعـــب الجـــزائـــر

هـكذا فليكن طِلاب الذُّحُـــول(1)　　إن جـيـل الفـداء أفـضـل جـيـل(2)
بُعـثت أمـة الجـــزائر(3) بمـثـا　　كـان قـبل اليـوم كـالمسـتـحـيل(4)
بلدٌ تزعم الأعـــادي افـــتــراء　　انه من أتبـــاعـــهــــا والذيول
دخلوه في غـــفلة من بنيـــه　　فـــاســـتطالوا بحـــيلة ونُكول

رايـــة المـــغـــرب دم

أممٌ عـــاشت عـــبـــيـــدا　　أصــــبـــحـتْ تحـــمي العَلَم
وبلادي مــــوطـن العـــزٌ　　بـهــــــا زلُّ القــــــدم
هــــذه الأوطـــان دامـــت　　حُــــرةٌ منذ القـــــدم
هـذه الأوطـان حـــــامت　　كـلـمـــــا خـطْبٌ ألـم
يـا بـنـي طـارق هُـبّـــــوا　　دافــعـــوا واحــمـــوا الحُــرَم
أمَمُ الدنـيـــا ســــواء　　كـــيف نحـــيــا كـــالخـــدم
فـــأريقـــواها دمـــاءً　　راية المــــغـــرب دَمْ

---

(1) - جمع ذحل وهو الثأر.
(2) - في نسخة ورد هذا الشطر : "أي ذخل كمِثل حُكم الذحيل".
(3) - " " " بُعث الشعب في الجزائر.
(4) - " " " كان فيما يرى كالمستحيل".

استيلام العرب

"لكل داء دواء يُستطبُّ به" إلا الذي حل بالإسلام والعرب
قوم كرام ولكن شأنهم وهَنٌ فاستسلموا للأذى استسلام مُحتسب
ولا وربِّك ما جاءت رسالتُهم بغير إعلاء شأن الدين والحسب
قولوا بأيٍّ كتاب أم بأيٍّ هُدى ترون تسليمكم من أعظم القُرَب
قولوا بأي نظام في السياسة قد أخذتم فتركتم عُدة الغلَب
الرَّميُ قوتُكم لا تعدلون به مداخلات ولا سيلا من الخطب(1)
إن العدوُّ غزاكم بالسلاح فما غير السلاح لردِّ الغزو من سبب
جدوا ولا تلعبوا فالخصم خُطتُه لضربكم كلها جدٌّ بلا لعب
والله لا تفلتون من براثنه إلا بقصٍّ لها بالسُّمر والقُضُب
أين العزيمة هل ماتت نُفوسكم أين غيرة أسلاف لكم نجُب
كانوا شجًا للعدا وغُصَّة فتكتْ بكل مُحترِبٍ منهم ومُنتهب
حموا ديارَهُم وعزٌّ جانبهم ولم يدينوا لغير الله بالرَّغَب
وقد غدوتم قُصارى أمركم أمَلٌ فيمن يُذِلُّكم بشرٍّ منقلب
فيمن عليكم جنى ولا يزال على شماتة بكم في كل مضطرب
ماذا كسبتم بما استهواكم سفها ؟ من المذاهب والآراء والرِّيب
ماذا كسبتم سوى ذيلِيَّة خبُثت ؟ سوى اقتتال على الألقاب والرُّتب
وما علمتم بما يُمليه فعلكم على التواريخ من سُخط ومن غضب
فلا يغُرَّنكم مدح المنافق من صحافي وعميل طالبِيْ نشب
لا أستجيز غباء توصَفون به لكن تفرُّقكم أفضى إلى العطب
لا أرتضي أن يقال إنكم همج وبين أيديكم قرآن خيرِ نبي
تلك الرسالة حمِّلتم هدايتها إلى الورى وهي فيكم مثل مُغترب
والله لن تبلغوا شأوا بهجركم لها ولن تستردوا ماضي الحُقب

(1) – جاء في الحديث تفسير الآية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ألا أن القوة الرَّمي.

كانت سبيلكم للمجد فاعتصموا بحبلها وانبذوا أوفاق مُغتصب
وأجمعوا أمركم ولا تنوا أو تُرى أعلامكم فوق هام السبعة الشّهُب
نصحتُ والنصح شأوُ المخلصين ومن يسمع بخلٍّ ذا مُوالات وذا أرب
والله يُصلح ما أودى بأمتنا حتى تعود إلى منهاجها اللّحُب

هل من خلاص ؟

بالأمس كنا رجالا نهدي الورى للمعالي
واليوم صرنا عبيدا وتحت حُكم الموالي
فهل لنا من خلاص من قبضة المتغالي
فلا دواء يُرَجَّى لفكّنا من عقال
إلا نهوضٌ بعزم ورغبة للقتال
أو اصطبار لذلٍ وصفعُنا بالنِّعال
إذ لا توسُّط يُرجى فلا تثق بخيال
وهل عدوُّك يرضى لك الخلاص بحال
إن لم تقم بثبات وباتحاد الرجال
واطلب حرية شعب تنله بعد النِّزال
وكن شجاعا في حرب واثبت ثبات الجبال
وكن أخي نبيلا واحفظ شريف مقالي

في نادي مدرسة أهلية(1)

إيه بَني وطني فلتنبذو الكَسلا لعل أن تبلُغوا من سعيكم أملا
قوموا ابتغوا الفخر وارقوا في معارجه بالجد يرقى إلى العلياء من سفلا
لا تحسبوا أن تنالوا من رغائبُكم ما لم تسيروا إليها الوَخْذَ والرَّمَلا
إن المعالي تأبى قُرب ذي دَعَة حاشا المعالي عمن نام أو كسَلا
إن المعالي من يقصد لحوزتها يخرط قتادا ويزرعْ دونها سُبُلا
فلتنهضوا نهضة ترمي بواحدِكم إلى المهاوي ابتغاء نيْل كل عُلا
ولتجعلوا أُسّها علما تقوم به فالعلم أنجح ما يُنيلنا الأمَلا
ما ساد من ساد إلا بالعلوم وما نرى تأخرَ في الدنيا سوى الجُهلا
سِرْ في البلاد وسائل ساكنيها معا هل ساس شعبا وقاد الجيشَ من جهلا
سر في البلاد وقابل من ترى لترى أن التمدُّن علم قارن العملا
لا كنتَ يا جهْلُ كم أبدْتَ من أمم قد طبّقت بسَناها السّهل والجبلا
لما أنختَ بنا صيّرتَنا فرقا شتى وأورثْتَنا الجمود والخَطلا
بالأمس كنا كأنا الأسْدُ في أجم نحمي العرائن ممن ظنها نُزُلا
يهابُ سطْوَتَنا من كان شاهدَنا في الحرب فلا نخاف الموت والثّكَلا
فكم بسَطْنا لإفريقية يدنا وللجزيرة لما أصبحت هَمَلا
ونحن قد طَلَبَ العدا معونَتَنا واستنجدونا فوافيناهم عَجُلا
حِلْمٌ كبير وأخلاق مُطهرة إنا بني العُرْب وشّينا بها الحُللا
لقد سبقنا لنيل كل مَكْرُمة وعزَّ بالعلم منّا جانب وعَلا
لولا تهاوُننا ما كان عاجلنا هذا التأخر أو رأيتنا خُولا
هيا بني مازيغ فاحموا ذماركم هيا فإن لكم مستقبلا جَللا
لتُعلنوا أنكم أبطال ملحمة تلاعبون الظُّبى والبيض والأسلا
ولتشعروا كل عاد أن كل فتى منكم لديه نُفود إن يَقُل فعَلا
إن الوغى أنتم أبطال معمعها من ذا يُنازل فيها منكم بطلا
هيا فسلُّوا سيوف النصر واقتحموا صفَّ العدى وردوا من دَمهم عَلَلا
فالعِزّعند بقاء السيف منصلتا والذل عند بقاء السيف مُبتذلا

---

(1) - قصيدة قالها الشاعر بمناسبة زيارته لنادي مدرسة أهلية بتطوان سنة 1940.

صوت المؤذن

[illegible]

[illegible]

صورة للقصيدة بخط يد الشاعر حين أعدّها للنشر بجريدة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب

صوت المؤذن

(1)

لبَّيك من داعٍ أبرَّ بما دعا ... إليه على كلِّ الدعاة وأسمعا
تُنادي على وجه النهار مُثَوِّبًا ... وتهتف في جُنْح الدَّجى متضرعا
بصوت نديّ مثل سجْع حمامة ... ولكنه بالحق أعظم مَوقعا
ترى الناس ينثالون للغُنم صوبه ... وناهيك من غُنم لمن كان أسرعا
وأشهد أني ما سمعتك مرة ... ولم يهف كِياني إليك مُرجعا
أصُورُ على ما بي من الضعف والونى ... شديدا بحثِّ الخَطو نحوك مُهْطِعا
فيا نغما من عالم الخُلد لم تُصِخْ ... إلى مثله أذْن ولا سامع وعى
ويا كلمات موحِيات ترددت ... على ألسُنِ الأملاك والرُّسْل أجمعا
لفتَّحت أقطار البِلاد فأذغنت ... إلى ملكوت الله بالطَّوْع خُضَّعا
وكان شعار "الله أكبر" قائدا ... وجيشا لفتح معنويٍّ ومدفعا
وكان رباطا بيْن كل مُوَحِّد ... بمشرق أرض أو بمغربها سعى
وها هو يغزو في الفضاء رواده ... فيهديهم سُبْل السعادة موسعا(2)
ومن عجب أن يستجيب له المَلا ... على ضُعف إيمان وعلم بهم معا
ولا يستجيبوا رافضين لمن غدا ... لهم يقرعُ الأجراس قرعا مروِّعا

دعاء(3)

الله ربي الذي ... يحفظُني حفظا عميم
وهو الذي سبحانه ... يستُرُني سترا كريم
وأرتجي لذنبي الـ ... ـعظيم عفوَه العظيم
ومع عفوه مُعا ... فاتي من الداء العقيم
بسر لا إلاه إلا ... الله والذكر الحكيم

---

(1) - بحذف الحرف الأول من فعولن على سبيل "الثلم" وهو فيه جائز، ومنه قول الخزرجية "للشعر ميزان يسمى عروضه" وبهم من يزيد فيه الراو فيقول وللشعر.

(2) - إشارة لما نشرته بعض الصحف من إسلام رائد الفضاء الأمريكي آمسترونك لما سمع الآذان بالقاهرة شبهه بما كان سمعه على سطح القمر ولم يدر ما هو.

(3) - أبيات قالها الشاعر في الطائرة وهو عائد من رحلة العلاج من فرنسا سنة1940. وهو ما أشار إليه في إحدى وُرَيقاته

ابتهال

أيا رب إن الغيث غوثٌ وإنني إلى مثله في النفع وجّهت وِجهتي
فلو شئتَ أخّرت الغياث سُويعة فيفرح راجيه وراج لأوبتي

أستغفر الله

أستغفر الله من قول ومن عمل لم ألتزم فيهما بما عليّ ولي
أستغفر الله من سوء هممت به ولم أُصِبه لعجز عنه أو كسل
أستغفر الله من داء الذنوب فما له دواء كالإستغفار عن عجل
أستغفر الله إن الله ذو كرم يمد مستغفرا بالمال والخَول
أستغفر الله في سر وفي علن مما ارتكبت على الحالين من زلل
أستغفر الله إن الذنب أجمعه برحمة الله مغفور لذي أملِ

رجاء وأمل

علقتُ بالمولى رجائي إنه ما خاب مَنْ برجائه يتعلق
لله جلّ جلاله في خلقه حِكَمٌ وأسرار تدِق وتعمق
ما هذه الأسباب إلا سُترة ووراءها حُكم الإلاه المطلق
فَكِلِ الأمور إليه وارقب لُطفه فاللطف في كل الشدائد يسبق

توبة

إلاهي إني تائب لك آيبُ وأصلِيَ أني ابطَرَتّني المواهب
جنيت بعلم لا بجهل جرائرا يُقصر عنها المُدمن المُتكالب
خجلت بها مني فكيف بمن يرى وقوعي في أوحالها ويُراقب
فمُنّ إلاهي رحمة وتفضُّلا بعفوك إني راغب لك راهب

أيـــهـا الاســـــي

أيهـــا الاسي على مـــا فـــاته من مـــتـــــاع وبناء يخــــرُبُ(1)
مـــا بنينا أو جـــمـــعنا كله ها هنا يبـــقى ومنّا يُسلب
مـــا يكن من عـــمل برٍّ فـــذا بالأسى أحـــرى إذا يُجْـــتنب
أو يكن من عـــمل ســـوء فـــذا بالأسى أولى إذامـــا يُرتكب
الأسى للغـيـر في الخـيـر حِجا وهو في الشـــر عناء مُـــتـــعب

مـــا ضـــلال الإنـــســـان

مـا ضـلال الانسـان مُذ كـان ذَنْبٌ إنـه ضـل فـي طِـلاب الـطـريـق
اليـهـودي والمـسـيـحي والمسلـــم كل ببـــاب درب عـــمـــيـق
إن مـن لـم يـفـئ إلـى الـفـطـرة الأولى فـقـد صـار على ذُرى الـتـوفـيق (2)
والذي لم يقم عليـهـا بمـا تطـــلب منه فليس ذا تـصـــديق
لا أمـــــانـــيَّ ذا وذلك ديـن لا ودعـــــواهـم إلى تـصـــديق

الـحــــب الـخـالـــــد

مـــا رأيت الحب إلا العَـــذ لا وصلُه للهـجـــر والهـجـــر قلِى
غـيـــر أن القلب لا يرضى ســـوى أن يُرى وهـو بحُبٍّ مـــبـــتلى
فـــإذا مـــا شـــئت حــبـــا خـــالدا لا تُلاقي فـيـــه أمـرا مُـعـضـــلا
يمـلأ القلب اغـتـبـاطا ورِضى وتـنـال الـنـفـس منـه الأمـــــلا
ويكون الذُّلُّ فـــيـــــه عـــــزة والتّـــدنّي شـــرَفـــا بين المـــلا
فـــهـــو الحب الذي تسـمـــو به روحُك الولهى إلى أعـــلا العُـــلا
وترى الغـيـب عِـيـانا حـاضـرا مـاضـيـا إن كـان أو مـسـتـقـبلا (3)
وتناجي الحِبَّ لا مُـسـتـوقـفـا صـاحـبـا أو مـسـتـجـيـبـا طللا
حُبُّ من أضـحـى علينا حُـبُّـــه إنْ بشَـــرْع أو بطبع مُـــسْـــجَـــلا
هو ســر الكون من مُـــبـــدعـه أزلا جـل ثـنـاء وعَـــــــــــلا

---

(1) - وردت القافية في نسخة أخرى على صيغة الماضي.
(2) - في نسخة : "عادمَ التوفيق".
(3) - في نسخة " (قد).

الله جل جلاله(1)

الله جل جلاله عمّ الأنام نواله
فبحمده وبشكره يزكو الفتى وفعاله
وبعفوه تنحطّ عن كل امرء أثقاله
الشأن رحمته فمن تخطته خاب(2) ماله
ما للعبد سوى اللجوء إليه إذا رمته من الزمان نباله
فهو غياثه وكماله

يُبدي العطاءَ تفضّلا وتُعيده أفضاله
ويزيد إحسانا إلى راجيه عزّ كماله
الله يا رحمان إني ممن تفاقم حاله
فأزداد غوصا في الذنوب ولم تُفده حباله
فامدد إليه يد التفضل تنبعث آماله
ويعُدْ له اطمئنانه

معادلات الكون(3)

إلاهي(4) ألكل بملء نفسي يقينا بَلْهَ عاطفتي وحدسي
أراك بكل طور من حياتي فيومي من غدي كنهار أمس
آمال من جهاتي الستِّ توحي بهمس عن كمالك أو بجَرْس
وأسرار يَحار العقل فيها وإن بزغت له كبزوغ شمس
فذا الكون العجيب معادلاتٌ وخارجُها تَلَقٍّ أو تأسِّي
وما للعقل في هذا مجالٌ ودي أخطاؤه بمكان حِس

---

(1) - من شعره المتأخر.
(2) - في نسخة : (ساء)
(3) - قالها سنة 1976.
(4) - في نسخة (أنت).

يـــــا رســــــول الإلاه

يا إلاه السـمـــاء صلِّ عليـــه وعـلـى الـه صــــلاة تـدومُ
يا رســول الإلاه إني ســقـيم وشـفـائي من السُّـقـام أرومُ
يا رســول الإلاه أرجــو أمـانا إن خــوفـي من الذنوب عظيمُ
يا نبي الهــدى رضــاك مُـرادي برضــاك يرضى السـمـيع العليمُ
يا نبي الهُـدى إليك التـجـانـي وســؤالي منك الجـوار الكريمُ
يا شـفـيـعـا في المومنين ويا من له عند الإلاه فـضل عـمـيمُ
كن شـفـيـعي غـدا بإذن من اللــ ــه وداري ضُـعـفي فـإني عـديم
يا رحـيـمـا بالمـؤمنين أغـثني لا يُغـيث العـبـيـد إلا الرّحـيم
يا مُقيل العِثار يا كاشف الــ ــكرْب إني عـبدك المُسيء المُليم
جُـد بفـضلَ عليَّ واقـبل دعـائي واعـف عني وعـافـني يا حليمُ

دعـــــــاء(1)

أيا ربِ إن الأمــر أمــرك كله ومنك لنا التوفيق والعون والنصر
فـيـسـِّر علينا مـا تعـسـر واهدنا مـسـيـرة برٍّ في سـبـيلك يا برُّ

لا حــكـــم إلا للـــــه

يا خليلي إعــتـبـا أو دعـاني أنا لا أعـنـو لحُكم الزمـــان
أنـــا لا أعــنـو إلــى حَـكَـم غــيـرهُ يقــتـاده بعنان

(1) - دعا به الشاعر وهو في طريقه إلى المؤتمر الرابع لرابطة علماء المغرب بمراكش.

غفارتي(1)

غفارتي تقيني بردا وريحا ومطرْ
وإنني أسأل من أكرمني بها وبَرْ
وهو الغفور كم عفا عن الذنوب وستر
مغفرة تقيني حرُّ الجحيم وسقَر

يا نفس لا تجزعن(2)

يا نفس لا تَجْزَعَن من رحلة أفدَت إما إلى، أو إلى، فالربُّ غفّار
طول الحياة على التوحيد كنت فلا يسوءك الذنب فالتوحيد كفّار

إلى الله أشكو(3)

أشكو إلى الله لا أشكو إلى أحد من علة عقمَتْ فأوهنَت جلَدي
كم احتسبتُ فأعياني احتسابي لها وكم صبَرَت فَفَتُّ الصبر في عَضُدي
شنَّ الطبيب عليها من تجاربه كذا معارك لم تُبدِئ ولم تُعِدِ(4)
علمت أن دواء ليس يُبرِئُ من داء إذا لم ينل عناية الصّمد

بين المحو والإثبات

نشأت ولم أنشأ وعشت ولم أعش فكل شؤوني بين محْوٍ وإثبات
وما عجبي مما لقِيتُ، وإنني على ثقة أن العجيب هو الآتي

---

(1) - مقطوعة قالها في الطائرة سنة 1983م. 1404 هـ.

(2) - بيتان قالهما الشاعر في الطائرة وهو في طريقه إلى فرنسا سنة 1985 لإجراء عملية جراحية، وكان رحمه الله قد ابتلي بمرض سافر من أجله مرارا، وأجرى عليه عمليات عديدة.

(3) - مقطوعة أنشدها سنة 1985.

(4) - في نسخة لم تُغْن ولم تعد.

لقد حان الرحيل(1)

أيا هذا لقد حان الرَّحيل ... وأنت عن الغواية لا تحولْ
لداتُك كلُّهم وردوا المَنايا ... وجيل بعْدَهم يتلوه جِيلْ(2)
تظن الكُتْبَ ضاع وذا بريد ... مُحال أن يضل له رسول

تربيع

(قولوا لمن ليس يدري) ... ما الحب : ماذا دريْتا
أنت إذا لم تُحبّ أو لم ... تُحَبَّ يوما فما حييتا
(الحب أمر عظيم) ... إن أنت فيه نظرتا
به قِوامُ الوجود حُكما ... ممن له بالوجود دِنتا(3)

إلى مالك مهجتي

قال في ضمن رسالة :

كتابي إلى مولاي مالك مُهجتي ... وقد وقدَت بين الضلوع صبابتي
كتابي إلى مولاي يشهد أنني ... أنا الصبُّ باد ذلّتي وكآبتي
أبثُّ له شكواي من ألم النّوى ... وما فعلَتْ أيْدي الهوى بحشاشتي
عسى عطفه يلوي على رقٍّ بابه ... بإسال تحرير يُسبِّب راحتي

---

(1) - آخر ما أنشد من الشعر وهو في مرضه قبل وفاته بأيام.

(2) - جاء في نسخة :

رفاقك قد مضوا فردا فردا ... وحتما سوف تتبعهم الفلول

(3) - أعجب الشاعر بهذا البيت من قطعة يُرددها أصحاب السماع فربّعها بهذه الأبيات.

كـــذا فـليـحـب الـمــرء

ونـاهـدة الـشــديَيْـن ورديـة الخـــدِّ
مُـهـفـهـفـة الأعـضـاء ممشـوقـة القد

لهـا مُـقلة يُسْبي العـقـول فـتـورُها
وثغـرٌ حكى الدرَّ المُنضَّدَ في العـقـد

إذا التـفـتّت فـالظبي يمرح في الفَـلا
أو ابتـسـمَت فـالبرق يلمع في نجد

كلِفْنا بهـا دهرا ولم نُبـد مـا بنا
كمـا كلِفَت دهـرا بنا وهـي لا تبـدي

يُمَـانعُنا حُسن احـتـرام لبـعـضنا
فـلا هـي تهدينا ولا نـحن نسـتـهـدي

ومـا هـو إلا مـجلس أنشـدَت بـه :
وقد يجمع الله الشتيتين من بعدي

فطارحــهــا القلب المُعَنّى غـرامَــه
فـقـالت لنا فـوق الذي عندكم عندي

فـإذ ذاك خفَّ الحبُّ نـحـو اعتناقـهـا
وقـبلُهـا عـشـرا على صـفـحـة الخـد

ونادى لسـانُ الحـال منه بغِـبطة
ألا فـازت النفس المشوقة بالقـصـد

كـذا فليـحبَّ المرء أو يكن الهـوى
وإلا فــمـــا للعـــاقلين وللصـــد

ألا فـــي ســبـيـــل الـحــــب

ألا في سبيل الحب ما يحملُ الصبُّ
فـقـد كـاد لولا الصـبـر ينفطر القلب

أبيت على جـمـر الـغـضـا مـتـقـلبـا
فليس يُطيق الاضطجـاعـة لي جنب

وأصبح منكوس الفؤاد مُضعضعا
مُـعنًّى فـلا جسم صـحـيح ولا لبٌّ

فـيــا طول ليل ليس يبـرح همُّـه
ويا وحـشـةً للصبح يصحبُه الكَرب

غـــرام أعـــاني منه كل مُـــروع
ولاكن تعـذيب الغـرام بكم عـذْبُ

مــن ســوانـــح تـطـــوان

بـاقــــة مـن يـاســـــمـين
مـــــثـل هـداب الـدمـــــقـس

زفَّـــهـــا لـي فـي احــتــشــام
مـن أفــــديـه بـنـفـــــسـي

مناجاة البدر من وراء السحاب

يا بدر لا تحتجب عني فإني أرى ... شخص الحبيبة فيك قام يا بدرُ
يا بدر أنت مساعدي على سهري ... فيا شقائي إذا احتجبتَ يا بدر
يا بدر سلْها الرضى عني فإني إذا ... لم ترض عني جفوت العيشَ يا بدر
يا بدر لا تحتجب ويا سحاب ألا ... ترثي لحالي فأقلع يظهر البدر

غادة «لنخرون»

فتاة إذا كان معنى الجمال خفِيا ... ففيها يلوح جليا
وإن يختلفْ فيه ذوق الورى ... فلا يختلف من يراها وحيّا(1)
أتت لنْخَ(2)رون لكي تشتفي ... وهل يعتري الداء نَجْمَ الثُّريا
وقد ودعتْ بعدما أودعت ... بقلب المتيم داء دويا

أصداف

سائلي عن شعري المختار ... ما شعري المختار إلا صَدفْ

الدهر

الدهر عنه أخذت جُلّ دروسي ... كم من رئيس خيرُ من مرؤوس
والدهر علمني مُصانعة الورى ... فتوى الملا لم تُغن عن بلقيس(3)

---

(1) – الوحِيُّ (بالضم وكسر الحاء) المسرعُ العاجل.
(2) – حمّة لنخرون بإسبانيا.
(3) – إشارة إلى قصة نبي الله سليمان والملكة بلقيس، إذ لما أرسل إليها سليمان يدعوها إلى الدخول في دين الله استفتت قومها – أشار إليهم هنا بالملا – فقالت : أيها الملا إني جاءني كتاب كريم فماذا تامرون. فأجابوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر بيدك. فبماذا تأمرين ؟ فأمرت بإرسال هدية إلى سليمان، فلم تغن عنها ولا عنهم القوة والمال.

إهانـــــــة

قـــالوا أهـانك فـــلان وقـــد قـيل انتـهى عـهـد المُـداجـاة
قلت صــحـــيح ذاك لكنه ليس من الهـــوْن بمَنجـــاة

الـربـيــع الحـزيــن

يا ربيع العـمر من عـهـد الصبا عُـد فـاتنسْ وحـشـة المُـبْـتـئس
مـــثلمــا عـــاد ربيع للرُّبى فكســـاهـا حُـلة من سندُس

* * * * *

أورَق الغـــصن وقـــد كـــان نوي وجـرى في عـودِه مـاء الشـبـاب
وروى الطيـــر أحـــاديث الهـــوى عن بنات الرَّوض ألحـــانا عِـــذاب
بيـــد أن الصبًّ من فـــرط الجـــوى لم يزل عُـــرضـــة نصب وعـــذاب

* * * * *

يا لعُـــمـــرٍ مـــثل حُلم ذهبـــا ومـضـى في سُـرعــة كـالنفس
وشـــبـــاب لم يكن إلا هـبـــا انطفى مـــثل انطفـــاء القَـــبَسِ

* * * * *

ويْك يا قلب أمـــا تسلو أمـــا ترْعـــوي عن كل غيٍّ وشـــجن
لم يكن من شـــأنك اللهـــو فـــمـــا لك ألقـــيت إليـــه بالرَّسَن
وغـــدا مـــمـــا يثـــيـــر الألمـــا أن تُرى نِضـْــوَ شـــقـــاء وحَـــزَن

* * * * *

الهـــوى لم يكُ إلا حُلُمـــا خـــيَّلتَـــه غـــفــوة في عُــرس
فـــهـــو والغـــفْـــوة والحُلْمُ كـــمـــا خـــفَـــقَت إحـدى الجـواري الكُنُس

---

(1) - كتبها في أواخر سنة 1985.

يا صبا قضيته في مرح ... أتمَلاه صباحا ومسا
والمسرات بكل المُنى ... تتحدى كل هم وأسى
أين منّي لمحة لا تمَّحِي ... منك عن بالي عساها وعسى

* * * * *

تغرب الشمس ولكن تشرقُ ... كل يوم في بهاء وجلال
وكذاك البدْر لما يُمْحق ... يتراءى بعد حين يتَلالْ
أسفي أني لا ألتحق ... بهما أو بنبسات ذي ظِلال

* * * * *

يا لعهدٍ لم يكن إلا هَبا ... نثرتْه خافقات الأنفُسِ
ومضى مُلتهِبا خلْفَ الرُّبى ... كالْتِماع الجاريات الخُنَّس(1)

الأديب الرسمي

خوّلته السياسة اليوم حقا ... فليقل ما أراه كذبا وصدقا
لقّنته فصار أرْوى من لاهج ... بالنفاق يلوك شِدقا فشدقا

هنأك الله...

هنأك الله بها طفلة ... تقرُّ عينيك بأسعادها
جاءت وعيد المجد مُكتمل ... فزاد تمجيدا بميلادها

العداء الغبي

رأيتُ الرجال تُعادي الرجال ... بلا علة وبلا سبب
ولو ربطوا صِلة بينهم ... لأقصى الوداد العداءَ الغبي

---

(1) - في نسخة :

واختفى في سرعة خلف الرُّبى ... كاختفاء الجاريات الخُنَّس

رسـم المجـد

ألا في سبيل المجد رسمٌ كما يُرى ... مـلامـحُـه بالعبـقـرية تُشـعِـر
رسمتُه لا كي تذكرَني عشيرتي ... فمثلي وإن طال الزمان سيُذكر
ولكن ليبقى يقتنيه مُحصل ... فيَبْصِر بالعلياء كيف تصور
قِوام كغصن البان يهتز عطفُه ... ولكنه بالحزم دوما مُؤزَّر
ونفس يروق الناس منها تواضع ... على أنها فوق السِّماكَيْن تخطُرُ

تخميس لبيتين منسوبين للإمام الغزالي

جهود تنقضي تعبا وكدّاً ... على من ليس يدفع عنك زندا
ومن يجزيك بالإحسان رِفدا ... (أرى المتعلمين عليك أعدى

إذا علّمتهم من كل عاد)

لقد مرِنوا على غمْط الحقوق ... فهم كالسهم منها في المروق
وجريهم ولو بعدَ الوثوق ... (فما عند الصغير سوى عُقوق

وما عند الكبير سوى عناد

رجاء الناس

رجاء الناس بعضهم لبعض ... على حسب المكاسب والتُّخوت
فمنهم ناظرون بفضل جاه ... ومنهم ناظرون بفضل قوت

إلقني جهم المحيا

إلْقَني جَهْمَ المُحيّا عابسا ... سالِم الصدر نقيّا طاهرا
غير أن لا تلقني مُبتسما ... تُظهِر البِشر وتنوي الضُّررا

ولّني ظهرك إن أبصرتني		لا تخف إني أقول انقطعا
إنما استقبال من أكرهه		كخراج عرْض وجهي طلعا

* * * * *

لا تُصافحني إذا لقيتني		فأجسُّ النبض ماذا تُضمر
وأشر لي بل فدعْني منهما		إنها شيمة من يستكبر

* * * * *

إن يكن غيري يرى من جَهله :		أن في الناس صدوقاً مُخلصا
فأنا حاشاي لا أزعُمه		كائنا في ما مضى أو خلُصا

* * * * *

ليس في الناس سوى [مُلتمس(1)]		يركب الوغْر الذي لا يجهله
فإذا أشرف فوق المُرتقى		عاد من أدراجه يستثقله

وزير جعل السبت والأحد يومي عطلة بدل يوم الجمعة

مضى ولم يتركْ له أثرا		سِوى اختيار السبت والأحد
تُرى لأيٍّ ملة ينتمي		وبرِضى من منهما يجتدي

الرفق والعنف

إذا عاتبْتَ فارفق إن عُتْبا		بعُنف ليس يُقبل أو يهون
كِتاف الجزِّ غير كتاف ذبْح		ويعرف ذلك الضأن الحَرون

---

(1) - غير مقروءة في الأصل، ولعلها هكذا.

طــــول عــمـــــري

عَــشْتُ حُــرا طول عـــمـــري ... مـــا تعــبّــدتُ لزيدٍ أو لعَــمْــرو
قطُّ لم أخـــضع لضـــغــط ... ولو استـــهـــدَفَ خـــيــري
بَــلْـــهَ شـــرّي
لا ولا خُــضْتُ امــتــحـــانا ... قـــاصــدا رِفـــعــا لِقـــدْر
أو لأجـــــــــر
لم أكن غِـــراً ولا خِـــبّـــا ... ولا خِـــــدْنا لــخِــبٍّ
أو لــغِـــــــرٍّ
ثــائـرا كُــنـت بــسِــــــرٍّ ... ثــائرا كنت بـجـــهـــر
ضـــدَّ أفكار وأوضـــــا ... ع كليلِ حـــيــن يســـري
أو كـــفـــجــر كــاذب أو ... كـــغـــمـــام دون قطر
في شـــبـــابي كنت أدري ... كُلُّ مـــا يُصلِح أمــــري
وتحـــريتُ ســبـــيل الرُّشــــ ... ـد مـــا اســتطعت التـحـــري
كنت صلبـــا غـــيـــر أن ... الدهـرَ كـم قلَّمَ ظُـفـــري
ولعـــمـــري مـــا تكلّفتُ ... ولا جـــاوزت قـــــدري
وبمـــا فـــضْل من اللــــ ... ــه تصــدَّرْتُ بمِـــصـــري
وبعـــصـــري
دونمـــا جُـــهـــد ولا حِـــرْ ... ص على إقـــصــاء غـــيــري
أفـــلا أحـــمَـــد من أخلَـــ ... ـصـــتُــه في ديني وشُكري
طول عـــمـــري

بالـهـــوى قـــد نـتـقـــاوى

نــحن فــي الـداء ســـواء ... فــتــعـــالى نتـــداوى
إن فـــي ظـــنـــي أنَّـــا ... بالـهـــوى قـــد نتـــقـــاوى

الذئاب والذيابات(1)

إن الذئاب أحاطوا بالذيابات ... وما الخبيثون إلا للخبيثات
متى تُجنَّبُ هذى الأرض رِجسهم ... يالرجال وأربابِ المُروءات

«نعم» و «لا»

إلتزم في الكلام لا ... وتجنب فيه "نعم"
إن "لا" تدفع البلا ... و"نعم" تسلب النِّعم

إنما الدنيا سبيل..

إنما الدنيا سبيل ... لَحياة أو ممات
فحياة في ممات ... ومماة في حياة

نعمة الأولاد

هنيئاً لأرباب البيوت بيوتَهم ... وأولادُهم يُلْغُون : أمي، أبي، أخي
فذلك ما يُضفي السعادة والرِّضى ... على البيت، والبيتُ الرَّضِيُّ هو الرَّخي

(1) - بيتان قالهما الشاعر وهو مار بقرية الذيابات قرب مدينة الصويرة وقد أخبره بعض الإخوان أن الهبيين احتلوها.

على قبر أبي قاسم الشابي

أبا قـاسم ها أنا قـد أتيتُ ... أرُدُّ تحـيـتَك العَطِرَة[1]
ذكَرنا "إبن منظور" في قَفْصة ... وزُرناك في "توْزَر"[2] تذكرة
وقد كُنتما بالذي نلتما ... جديرين بغيرما أثْرَه
فإنكما وحياتكما ... لمغربنا العربي مفخرة

الأحبة

هُمُ الأحبة لا تُنكِرْ بهم شغفي ... وعاطِني في هواهم نخبَ مُعترِفِ
أشتاقُهم وهمُ منّي على كَثَبٍ ... وإن تناءَ وافهُم في السمع كالشّنَفَ
قد صُنتُ حبّهُم في القلب مبتهجا ... به فأكرِم بصون الدُّرِّ في الصُّدف
ولم أزل لَهِجا بذكرهم هزِجا ... كالسّاجع المُنتشي في الرّوضة الأُنف
لله ما أجتليه من شمائلهم ... كأنها الزّهر في حُسن وفي شرف

(1) - ذكر الأستاذ محمد أبو القاسم كرو للشاعر أن الشابي نوّه بشعره في محاضرة له ما تزال مخطوطة، فردّ بهذه الأبيات على ذلك الذكر الذي سمّاه تحية.
وقد نشر الاستاذ أبو القاسم كرو هذه الأبيات مع مخطوطة أبي القاسم الشابي التي تعود إلى 1930 بكتاب "عبد الله كنون شخصه وفكره" تحت عنوان "الشاعر عبد الله كنون في رأي أبي القاسم الشابي من خلال وثيقة نادرة بخطه" ص 73.
والكتاب في الأصل مجموعة من المداخلات التي ساهم بها عدد من الشخصيات العلمية والأدبية في الأيام الدراسية التي نظمتها الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي بتعاون مع جمعية البوغاز بطنجة حول شخصية وفكر عبد الله كنون. وصدر الكتاب عن دار المناهل صيف 1994.
(2) - مدينة تونسية.

تحية لأعضاء مجمع اللغة العربية

التَّحايا كأنهن عبيرٌ — أو نسيم يرِقُّ منه الشعور
والسلام الأمان تقرأه الأمـ — ـلاك عند استقبالها والحور
والأماني دوانيا كالمجاني — كلُّها يانع الثمار نضير
والصلاة الخُشوع في هيكل — الخُلد الذي يستطيرُ منه النور
تمّت البرُّ والتودّد والتعظيم — للخالدين والتوقير
من زميل وما زميل هنا إلا — مجازٌ عن عاجز لا يحير
قاصرٌ أو مُقصر بل هُما فا — لشأن فيه القصور والتقصير
إن يكن قد غدا جليس[1] الثُّريا — وهو فيها سُهيل المهجور
فالليالي يُدنينَ كل بعيد — يقطع الدرب ما نأمَنْ يسير
ولكم فاز غير قيس بليلى — إن ليلى وصالُها مقدور

(1) - في نسخة : "قعيد".

شعر

للأطفال

دعـــاء الـصـبـــاح

أقـــرَّ الله عـــين أبي وأمي
وبرُّهما بمـا صنعـا إليّـا

كـتـاب الله حـقّا علّماني
ومـا تركـا من الإحسان شيـا

سـأشكرُ نعمـة الرحمان ربي
وأشكر بعـــد ذلك والديا

فـشكزهمـا عليّ فـرض
وشكر مُـؤدّبي أيضـا عليّ

وأسـأل خـالقي التـوفـيق منه
لطاعـة والدي مـا دمت حـيّا

ووالدتي كـمـا قـد ربّيـاني
صـغـيرا ثم في الأحـشـاء جَنيا

ضـرب مثـل في حسـن الصحبـة

جـاء زُهـيـر أمّـهُ
بأدب وحـشـمـة

مُـسلّمـا عليـهـا
مُـقـبّـلا يديهـا

فـقـبلتـه أمـه
ومـا انثلّت تضمُّـه

وناولتـه عُلبـه
يا حُسنها من لعـبـة

فمـال يستـقـصيـهـا
فـشمّ طيـبـا فـيهـا

فـقـال يا للعـجب
من طيـب هذا الخـشب

كـأنـه يـأمـي
وردٌ سقـاه الوَسْمي

فـقـالت الأم أجل
الأمـر ليس بالجلل

فـذاك وردٌ ضُنتُـه
فـيـهـا كـمـا قطفـتـه

فـنال منه الخـشب
رائحـة تسـتطيب

ومن أخـى الأمـاجـدا
يـنال منهـم شـاهـدا

فهارس

فهرس الأعلام

* شاعر ورد له شعر بالديوان

فهرس الكتب الواردة في المتن*

* اقتصرت على ذكر الكتب التي ورد ذكرها في الديوان ولم يتم الرجوع إليها في التقديم والهوامش.

فهرس مصادر ومراجع التقديم والهوامش

الإبداع الشعري والتحولات الإجتماعية والفكرية بالمغرب	أحمد الطريسي منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط 1992
إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنهم من الشيوخ	محمد بن الفاطمي السالمي دار الطباعة الحديثة البيضاء 1978
أحاديث عن الأدب المغربي الحديث	عبد الله كنون معهد الدراسات العربية 1964
الأدب العربي في المغرب الأقصى	محمد بن العباس القباج الطبعة الأولى 1929
إسعاف الإخوان الراغبين بترجمة ثلة من علماء المغرب المعاصرين	محمد بن الفاطمي السالمي مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 1992
أعلام المغرب العربي	عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية بالرباط 1983
الأعلام	خير الدين الزركلي الطبعة الثانية 1959
أمير البيان شكيب أرسلان	أحمد الشرباصي دار الكتاب العربي 1963
إيقاعات الهموم (ديوان)	عبد الله كنون مطبعة سوريا، طنجة 1401
التعاشيب	عبد الله كنون دار الكتاب اللبناني 1975
تراجيم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر	جورجي زيدان الطبعة الثانية 1910

حب الحصيد (ديوان)	عبد الغني سكيرج تطوان 1987
ذكريات مشاهير رجال المغرب	عبد الله كنون دار الكتاب اللبناني 1974
شاعر الحمراء في الغربال	محمد الشرقاوي إقبال مطبعة الجامعة - البيضاء -
شرح القصائد العشر	التبريزي تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الرابعة 1980
الشرف المصون لآل كنون	القاضي حشلاف الطبعة الأولى 1352
الشعر والشعراء	ابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الثالثة 1977
الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه 1870-1940	أنور الجندي مطبعة الرسالة
الشعر المغربي : مقاربة تاريخية	أديب السلاوي دار افريقيا والشرق
طنجة في الآداب والفنون	أعمال ندوة منشورات كلية الآداب بالرباط 1992
ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب	محمد بنيس دار العودة بيروت 1979
عبد الله كنون شخصه وفكره	أعمال ندوة الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي دار المناهل 1994
لمحات الأمل (ديوان)	عبد القادر المقدم المطبعة المهدية تطوان 1947

لوحات شعرية (ديوان)	عبد الله كنون تطوان 1966
المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها	عبد الله الطيب الطبعة الثانية 1970
المعارضة الشعرية بين التقليد والإبداع	عبد الله التطاوي دار الثقافة 1988
مواكب النصر وكواكب العصر	محمد عبد الصمد كنون طنجة 1400
مع النفس (ديوان)	خاشع الراوي دار المعارف بغداد 1965
مفكرون وأدباء من خلال آثارهم	أنور الجندي دار الإرشاد الطبعة الأولى
نشأة المسرح والرياضة في المغرب	عبد القادر السميحي مكتبة المعارف 1986
نفح الطيب	المقري تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر 1968
النقد الأدبي الحديث في المغرب	محمد خرماش دار افريقيا والشرق 1988

المجلات والجرائد :

مجلة الأنوار :	المغرب	عدد 25	السنة السادسة
" دعوة الحق :	المغرب	عدد 8	14
" الفيصل :	السعودية	عدد 137	سنة 1984
" الكرمل :	الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين	عدد 11	" 1984

جريدة الميثاق : لسان رابطة علماء المغرب.

فهرس الموضوعات

رباعية سبل المجزرة كما يرى

ملامح بالعبقرية تستعر
رسمته فهو كم تذكرني عشيرتي

حملتني وإن طال الزمان سيذكر
وهو كمن ليبقى يغنيه محتضل

فيبصر بادية كيف تصور
فتراه كعقل ابداع يرتقي عالمه

وهو كنه بلا حدود دما متوزر
ونفس بروح الناس منه ترافع

منوه
على أن نجر أسماء كبير نحو سطر